

****

**مِحْـنَة المُلحِدين**

*محاولة للرد على بعض إفتراءاتهم و تسفيههم العقول وبيانٌ للمحنة الكبيرة التي يعيشون فيها!!*

" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ "

صدق الله العظيم

172 - الأعراف

## مقـدمة

يا سادتي:

قرأت كتابا لأحد الملحدين ما سمعتُ بمثل ما فيه ولا قرأتُ من قبل.

فيه من الإفتراء والجرأة والهُزء والاستهتار ما لا يفوقها الا ما فيه من الحقد والغل.

الكتاب دعوة مُلحّة للإحاد والكفر. فالكاتب "عباس النور" في كتابه "محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن" يجتهد ويبذل قصارى جهده في محاولة إثبات ان القرآن ليس كتابا من الله وإنه لا يعدو أن يكون كتابا عاديا كتبه "محمد" ولا علاقة له بالسماء.

لابد ان أقول ان بعض ما جاء به الملحد يبدو – للوهلة الاولى ككثير من إدعاءات الملاحدة – منطقيا و عقلانيا حتى إني خشيت إن ذكرت إسم الكتاب و قرأه بعض ضعاف العقل والايمان ذهبوا معه و كفروا بربهم كما كفر بعض المؤمنين يوم الاسراء. ولكن شجعني على ذكر اسم الكتاب ما قرأته لأحد الإخوة ممن تطوعوا بالرد الموجز على بعض ما جاء في الكتاب، إذ يقول: " وأن كتابه لا يصلح للقراءة قط، ولا يضر أحداً، ولا خوف منه، ولا من غيره على الحق أبداً، ولم يصل إلى مستوى أن يُطلق عليه أخطر كتاب إلحاد في تاريخ البشرية !"([[1]](#footnote-1))

كثيراً ما جادلت الملحدين عبر الوسائط الاجتماعية. و كثيرا ما بدت أسئلتهم عقلانية و لكن تمنعني ابدا قاعدة أساسية من الانزلاق في الكفر بالله. وهذه القاعدة بسيطة وسهلة وهي "انا موجود فاذاً هناك من أوجدني". لن أشك في وجود الخالق طالما انا لا أشك في وجودي. هل تستطيع ان تشك في أنك موجود؟

و بناءً على هذه القاعدة فإن وجود الله عندي ليس فوق مرحلة الشك فحسب، بل انه يقين ثابت لا يزول الا ان يشاء الله.

إن ما يقول به بعض الملحدين من أننا وُجِدنا صدفةً هو في الحقيقة كلامٌ يحطُّ من قدَر العقل. هم يزعمون دائما أنهم يرفعون من قيمة العقل ولا يقبلون بشئ لا يسنده العقل، ورغم ذلك فإنهم يقولون بصدفة الوجود. وهذا إنحطاط عقلي لا يماثله إنحطاط.

في مجادلاتي مع الملحدين كنت أسالهم ما هي الصدفة؟ فكان بعضهم يتمتم بكلام غير مفهوم عن "الميتافيزيقا" وكان البعض الآخر يسكت محتاراً كالذي إستهوته الشياطين في الارض فهو حيران.

و كنت اقول لهم: هذه الصدفة هي في الحقيقة لا شئ و اللاشئ لا يصنع شيئاً.

وكانوا دائما – اذا أعيتهم الحِيلة وخذلهم العقل – يقفزون الى سؤالهم المحبب الذي يظنونه السؤال المفُحِم لكل مؤمن بالله ألا وهو: "إن كان لكل شئ خالق فمن خلق الخالق؟".

وهذه نقطة مهمة جدا لنفرق فيها بين الحقّ والباطل. وهو مثل كلامهم عن إستحالة المعراج و انه من أساطير الأولين. هنا اقف بهم في النقطة الفاصلة، اقول لهم: إن أسئلة كثيرة من تلك التي تسألون عنها هي أسئلة في خارج إطارها الفكري بالنسبة لكم. أنتم هنا تبدون كأستاذ جامعي يضع أسئلة إمتحانات كلية الطب أمام طلبة كلية الآداب. تُرى كم منهم سينجح؟ لا أحد بطبيعة الحال. فلن يجيب على تلك الأسئلة إلا من دخل كلية الطب ودرس فيها. ومثل هذا تماما، فإن في الكون أسئلة لن يعرف الملحدون إجوبتها إلا إذا دخلوا كليّة الإيمان بالله.

بعضهم يقول لي: إن كنت تعرف أخبرنا. فأقول لهم نعم أعرف و سأخبركم لكنكم لن تقتنعوا بإجابتي. يسألون: لماذا؟ أقول لهم: لأنكم تكفرون بالاساس الذي استند إليه في أجوبتي. ومن كفر بالاساس كفر بكل بناء يقوم عليه.

أنا اؤمن بالاسراء والمعراج لأنني أؤمن بالله. والله عندي لا يُعجِزه شيءٌ في السموات ولا في الارض. فهو خالق كل شيء.

حينما نادى ابوجهل أهل مكة ان هلموا وأسمعوا صاحبكم – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم – انه يزعم انه ذهب الى بيت المقدس وعاد في ليلته، وحينما هرع الناس الى ابي بكر وقالوا له: "هل لك الى صاحبك يزعُم انه أُسريَ به الليلة الى بيت المقدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوةٍ او روحة"([[2]](#footnote-2))

هنا تكمن الاجابة التامة الكاملة.

يقولون "مشركي قريش" و انا أقول إن أبا جهل لم يكن مشركا أبداً بل كان ملحداً لا يؤمن بأي إله، ولا يؤمن حتى باللات والعُزىَ اللتين كان يُقسِم بهما ليل نهار.

سؤال ابي جهل و رد أبي بكر يبيّنان لنا الفرق بين الأُسس التي ينطلقان منها. كفر متجذّر وايمانٌ راسخ، ولا يمكن لهما ان ينظرا الى الكون بنفس الطريقة ولا يمكن ان تكون إجاباتهم عن أسئلة الكون متماثلة فهذا محال.

وما لبثت الايام حتى تأكد في زماننا هذا صدق ما كان يظنّه ابوجهل تخريفا وتجديفا ولا عقلانيا. فأصبح الملحد يمكنه ان يسافر الى بيت المقدس ويعود في ليلته.

ولن تلبث الايام وتكشف ان ما يراه ملحدو عصرنا لاعقلانيا هو حقيقة من حقائق الدنيا يرونها أمام أعينهم. و من لا يراها حال حياته سيراها يوم مماته حين لا ينفعُ نفسٌ إيمانُها لم تكن آمنت او كسبت في إيمانها خيرا.

لم يقل ابوبكر لأبي جهل وزمرته "أجلسوا وسأخبركم كيف حدث هذا". لأن هذه الاشياء لا يفهمها إلا من إطمأنّ قلبه بالايمان. ولو بقى أبوبكر بقيّة عمره يجادل لما أقتنع عمرو بن هشام لأنه لا يؤمن بالله فكيف يؤمن بقدرته. وهذا بيت القصيد وهنا تكمنُ مِحنة الملاحدة.

هنا لابد ان أتمثل بقصة: سأسأل أي شخص هذا السؤال:

كم لترا من المياه تشرب العنقاء في اليوم الواحد؟

تُرَى. كيف ستكون الاجابة على هذا السؤال؟

لا أشك في انه سيقول: لكن لا يوجد في الكون حيوان إسمه العنقاء. وربما يتمثل بالحكمة التي تقول: "المستحيلات في الدنيا ثلاثة: الغول والعنقاء والخِلّ الوفي"

واذا تمسكت بسؤالي وقلت له لابد ان تجيب. سيتهمني بلا شك بالجنون. اذ كيف يكون لشيء لا وجود له، القدرة على أي شيء!!

هذا تماما ما يفعله معنا الملحدون الذين يجادلوننا في قدرة الله.

إن من يجادلني منهم في أشياء وردت في القرآن مثل الاسراء، أو المعراج في السُنّة فإني أبادره بسؤال واحد: هل تؤمن بالخالق؟ سيقول: لا. فأقول له: إذاً لماذا تجادلني في قدرته؟ من الغباء و اللاعقلانية أن تجادل في قدرة شئ لا تؤمن بأنه موجود أصلا.

سيقول الملحد: انا اجادل في المعراج كأثر من آثار الخالق - حسب زعم المؤمنين - فإن إقتنعت بهذا الأثر – المعراج – سأقتنع بوجود الخالق. فأقول له: أنت مخطئ. ما هكذا ستعرف الخالق. فإن للخالق آثاراً لا حصر لها باقية بينما المعراج أثر إنقضى في زمنه. ان كنت تريد ان تبحث عن الخالق فأبحث عنه في آثاره الباقية. أنت نفسك ايها الملحد من أعظم آثار الخالق. بِنيتُك، عَقلُك، طريقة عمل جسمك وخلاياك و كل شئ فيك. إن هذه الآلة التي تنبض في صدرك وتضخ الدماء الى شرايينك والتي تعمل سبعين او مئة سنة او أكثر دون ان تتوقف ثانية واحدة أليست معجزة بل هي من أعظم المعجزات؟ انت تترك كل هذه الآثار و تذهب بعيدا لتبحث عن الخالق في قصة المعراج!! انت تلهو في الحقيقة ايها الملحد. بل انت تسفّه عقولنا.

وقصة أخرى بطلها سادات قريش وعلى رأسهم ابوجهل:

مرة اخرى وفي معركة حاسمة بين الايمان و عقل الملحد، يخرّ العقل صريعا ويُهلِك صاحبه. وهي قصة واضحة في ان العقل الانساني ليس معيارا لفهم كثير مما يجري حولنا.

في يومٍ نادى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اصحابَه في المدينة وأمر القرشيين منهم خاصةً للخروج معه لاعتراض قافلة قريش التجارية التي يقودها ابوسفيان. لان كثيرا من المهاجرين لهم حقوق في تلك الاموال التي أجبرتهم قريشٌ على تركها و الفرار بدينهم. يومها خرج مع الرسول ثلاثمائة رجل بينهم فارسان فقط. ولم يكن يخطر على بالِ أحدٍ منهم، حتى الرسول نفسه، انهم خارجون الى حرب. وفي الجانب الآخر سمعتْ قريشٌ بخروج المسلمين لمطاردة القافلة فخرجتْ بجيشٍ مجهزٍ للحرب والقتال قوامه الف رجل منهم ثلاثمائة فارس. نجا ابوسفيان بقافلته وأرسل لقريش "أنْ ارجعوا قد نجوت"، لكن الملحدين رفضوا الامتثال لامره، وقال أبوجهل في قوة وحزم: والله لا نرجع حتى نردَ بدرا ونمكثُ ثلاثا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القِيان، وتسمعُ بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها.

كان أبوجهل مقتنعا من أنه سيبيد ثُلة المسلمين تلك عن آخرها وسيقتل محمدا. وهل يستطيع العقل ان يقول غير هذا؟

الف جندي في مواجهة ثلاثمائة جندي، وثلاثمائة فارس في مواجهة فارسين!! ان العقل والمنطق لا يقولان الا ما قاله ابوجهل ولا يفكران الا فيما كان فكر فيه.

ولكن ما حدث عند إلتقاء الجيشين وبعد إنجلاء المعركة كان شيئا لا يصدقه عقل. هُزِم جيش قريش أيمّا هزيمة، بل وسقط في المعركة ساداتها. و خرّ زعيم الإلحاد صريعا.

هذه المعركة، معركة بدر، لم تكن هزيمةً للمشركين فقط وانما هي، في الحقيقة، تبقى أبد الدهر هزيمةً للملحدين في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة. إن اي ملحد قبل أن يتكلم عن تقديس العقل عليه ان يقرأ بتدبُّر قصة معركة بدر ليفهم كيف يسير هذا الكون.

لنعُدْ الى كتاب الرجل، ففيه جُل تساؤلات الملحدين. و هو يحاول الإجابة عليها بطريقة تبدو اكثر قسوة وطعنا في القرآن من كثير من كتابات بعضهم. ذلك لأن الملحد هنا مختلف بعض الشئ عن أقرانه. فهو لم يكن إنسانا عاديا بل كان شيخا من شيوخ الاسلام ومعلما للقرآن. ثم حينما بلغ من العمر أرذله أظهر كفره بالله وبالقرآن وكتب كتابه هذا يبكي فيه نفسه وشبابه الذي افناه في خدمة القرآن والاسلام، فهو يقول عن نفسه:

(فقد نشأت نشأة المسلم وترعرعت في اعتاب الدين والهدى ... فأنا غارق في الدين من مفرق رأسي الى أخمص قدمي. فكنت منقطعا للصلاة والعبادة وحضور حلقات الذكر و كنت لا اغادر مجلس علم او وعظ في احد المساجد الا لاحضر مجلسا آخر لاجمع العلم من اطرافه والدين من مظانه واكون القدوة والاسوة والمثل. بل لقد ابتليت بعد وفاة والدي بان انضم لهيئة علماء المدينة حفاظا على العلم الشريف الذي ورثته كابرا عن كابر واشفاقا عليه من ان يندثر في اسرتي التي ظلت راعية له طوال خمسة قرون على الاقل. وقد قمت بنصيبي الكامل في الوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .... في وجهي سيماء تدل عليّ لا يخطئها البصر هي اول ما يبدو مني ويبرز من ملامحي، تلك هي التي أشار اليها القرآن الكريم "سيماهم في وجوههم من اثر السجود" إنها تلخص دهرا من الصلاة والتهجد والدموع والخشوع والعبادة والتوبة والاستغفار والمجاهدة ومحاسبة النفس. لقد كانت الصلاة قرة عيني وغاية مهجتي، فيها جلاء قلبي وصفاء روحي وسكينة نفسي. لقد كان قلبي معلقا بالله لا يغفو عنه طرفة عين ولا يطيق فراقه وكان مهيئا دائما لاستقبال فيضه النوراني .... لقد كانت روحي بحب الله سكرى وبتنسم نفحاته نشوى وكل غايتي انما كانت ان يتحقق وجودي في الوصول الى الله وان احظى بلقائه، فلا حق ولا خير ولا جمال كلا ولا محبوب الا الله، وكل ما عداه سبحانه اثر من آثاره وعطر من طيب جوده وذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته ..... كنت متيما بحب الله متحرقا الى وصاله أتلظى بنار الشوق اليه واوار العشق لذاته، أراه في كل شئ واسمع صوته يناديني في كل مكان، لم اترك بابا للتقرب اليه الا طرقته، ولا عملا يرضى به عني الا فعلته باقصى ما يتطلب مني ذلك من التقوى و الخشية والاخلاص في العمل بما يليق به سبحانه .... وكنت دائم الذكر له مقبلا عليه متضرعا اليه شاكرا لانعمه الظاهرة والباطنة وكنت كثير التوبة والاستغفار والبكاء على ما فرطت في جنب الله .....)

يا سادتي دعوني اقف بكم قليلا هنا.

عندما أعدت قراءة كتاب هذا الشيخ الملحد، وقفت في هذه النقطة، فكرت فيه كثيرا، و سألت نفسي: لماذا تزلّ قدمُ عبدٍ كان هذا ديدَنه حتى بلغ الثمانين و أفنى عمره و زهرة شبابه في خدمة الله والدين، وفوق هذا كان قلبه عامرا بالايمان وحب الله، بل وعشقه كما يقول؟ أنا على يقين من ان الله ليس بظلّام للعبيد، فما الذي جرى إذاً؟

لقد رأيت – ههنا – آية من آيات القرآن الكريم تمشي على قدمين أمام ناظري. فأزداد يقيني بالقرآن الذي لم أشك لحظة في أنه كلام الله، لكن إزداد إيماني به. وأدركت ان كثيرا من آيات القرآن التي تبدو لنا مسطوراً على ورق هي في الحقيقة آيات مجسّمة أمام أعيننا يراها من يراها و تُخفَى على من تُخفَى عليه.

قال تعالى في كتابه العزيز: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ \* سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ \* مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"([[3]](#footnote-3)) صدق الله العظيم.

لقد برقت هذه الآية في عقلي كوميض برقٍ ساطعٍ في ليلة دهماء، و أيقنت إن للرجل لابد من مصيبة لا يعلمها هو لكنها لا تخفى على الله الذي لا تخفى عليه خافية. إن الله لا يظلم مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. ولا يمكن أن يظلم رجلا بلغ الثمانين من عمره في عبادته و التضرع اليه. رجلا يحبه بل ويعشقه.

اذاً ماذا هناك؟ أين تكمن مصيبة الرجل؟ تعالوا لنقرأ ماذا يقول ايضا عن نفسه.

يقول: (والآن جاء دور الامتحان، ففي الامتحان يكرم المرء او يهان، هو ذا الامتحان الصعب الذي تنكشف فيه حقيقة الرب والوعود التي لطالما أغدقها علينا الرب ... فقد وقعت في أزمات وشدائد، وركبتني ديون وهموم وغموم لا مخرج منها، لقد اقفلت الدنيا في وجهي وأنسدّ امامي كل افق، فلم اترك بابا الا قرعته ولا طريقا الا سلكته .... ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكليّة إختياري تذكرت قوله تعالى "أم من يجيب المضطر إذا دعاه" فقلت اللهم إني ألتجىء اليك إلتجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجبني، اللهم أرحم ضعفي، وفرج كربي، ويسر أمري ... لقد تراكمت ديوني وعظمت كثيرا، إلهي، لقد إدخرتك لهذه الساعات السوداء، كيف اقضي ديوني .... وانتظرت ثم انتظرت عسى الله ان ياتي بالفرج ولكن عبثا. واخذت الشكوك تستيقظ في نفسي بعد ان كانت هاجعة مقموعة. لقد تجددت الشكوك وذرّ قرنها مرة اخرى لتفتنني في ديني .... لقد بذلت الكثير لقمع هذه الشكوك ابتغاء مرضاة الله فما له سبحانه يخزيني؟، وكم تجددت الدموع وكم تجدد الدعاء والابتهال، بل لقد لاحظت بعد هذه الادعية والابتهالات – ويا لهول ما لاحظت – ان الله يستجيب بالمقلوب)

يريد الرجل هنا ان يمتحن ربه، بلى ويعلنها دون حياء. و يصرح بجلاء ودون مواربة ويقول انه عبد ربه وتضرع إليه سنين عددا و قد آن الأوان لينال حقه!!

ألم يعلم من كل ما قرأه وحفظه عن ظهر قلب ومما كان يُعلمُه للناس ان الجزاء الحقيقي هو في الآخرة وليس في الدنيا؟ وقبل هذا ألم يتعلم من كل ما قرأه إنه إنما عبد الله كل تلك السنين وصلى وصام وسبح وذكر، بفضل الله وبنعمته؟ ألا يعلم انه انما قام بكل تلك العبادة لان الله وهبه الصحة ونعمة العافية في عقله وبدنه؟ ألم يقرأ إن الله قد قال لأقوام قبله: "لا تمُنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمُنّ عليكم أنْ هداكم للايمان إن كنتم صادقين"؟

ثم أعلن الرجل كفره البواح الذي لا شك فيه فهو يقول: (لقد اصبحت حياتي انا، بعد ان كان خطاً مشتركا بيني وبين من كنت اسميه "ربي" الذي كان يقاسمني وقتي وينتزع مني اخصب ساعات حياتي، كنت اخلو فيها إليه، و اترك نفسي بين يديه، لقد أصبحت حرا طليقا بعد ان كنت عبدا رقيقا، يا حسرتي على عمر ابتزّ فيه سبحانه جهدي وعرقي وحرمني شبابي)

تعالى الله علوا كبيرا.

وهنا يا سادتي رأيت ايضا آية من آيات الله، قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ"([[4]](#footnote-4)) صدق الله العظيم

نعم والله إنه الخسران المبين نقيّا صافيا لا تشوبه شائبة.

نحن أصلا نعبد الله سبحانه وتعالى لانه خالقنا و المتفرد بالالوهية والمستحق للعبادة هذا اولا وثانيا رغبة في الجنة وخوفا من النار والله يقول (إن الدار الآخرة لهي الحيوان) وهو سبحانه وتعالى يذكّرنا في كثير من آيات القرآن الكريم (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)، و (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو)، لكن أهواء الناس تهلكهم.

لقد كان إبليس من خير عباد الله لكنه سقط سقطة أودت به الى التهلكة. ذلك لأنه كان يعبد الله بهمّة ونشاط وهو في داخله يبحث عن مجد لنفسه. وتلك هي المصيبة الكبرى التي وقع فيها إبليس وبعض بني البشر. و هذا الملحد واحد منهم. عبادتهم مع كثرتها لم تكن خالصة لوجه الله تعالى بل إنهم في الحقيقة ما كانوا يعبدون إلا أنفسهم. و كان الله عليما بما في نفوسهم فاستدرجهم ليخرج لهم ما في قلوبهم ثم ياخذهم بها اخذ عزيز مقتدر.

لا يظننّ احد إن كثرة العبادة تعني قوة الايمان فان الله امتحن كثيرا ممن يدّعون الايمان والصلاح والتقوى فسقطوا من عليائهم الى أعماق الهاوية. لقد قيل: ما بلغ ابوبكر ما بلغ بكثرة الصلاة او الصوم وانما هو شئ وقر في القلب" ذلك هو الايمان بالله الذي جعل الصديق يردّ بقوة وبلا تردد على ابي جهل "إنْ كان قالها فقد صدق".

يقول الاخ " سامر إسلامبولي" في كفر هذا الرجل: "إن الموقف الذي اتخذه عباس كان نتيجة ظروفه النفسية والمادية السيئة، والسؤال الذي يفرض ذاته هو : هل كان من الممكن أن يبقى عباس على ما هو عليه من أفكار لو تم تغيير ظروفه السيئة !؟ فأنا أظن أن هناك جهة ما، استغلت ظروف عباس السيئة، وساومته على مبدئه، وعرضت حلاً مادياً لكل مشكلاته، بشرط أن يقوم بكتابة كتاب يدفع ضعاف الناس إلى الإلحاد، والتشكيك بدين الإسلام، وهذا ليس بتأثير نظرية المؤامرة، فمن الخطأ أن نرفض تحليل الأمور، ومن يقف خلفها بحجة نظرية المؤامرة"([[5]](#footnote-5))

ولكن الحقيقة التي قالها الملحد بصراحة في كتابه هي، إنه لم يكن مؤمنا في يوم من الأيام. نعم لم يكن مؤمنا أبدا!! هو لا يدري إنه لم يكن مؤمنا. بل كان يظنّ نفسه من كبار المؤمنين. لكن الحقيقة غير ذلك. فهو يقول إن الشك كان (هاجعا ومقموعا) داخله. وهذا قول صريح في ان الشك لم يغادر قلبه أبدا. و يقول: (الشكوك لم تكن شيئا جديدا في حياتي، بل كانت تنتابني قبل ذلك بوقت طويل، ولكني كنت أسارع الى دفنها في الحال وإخفاء معالمها، فأنا شكاك منذ نعومة أظفاري).

أن تخفي جُرحَك دون أن تكشف عنه و تداويه لا يُخرِجُك من زمرة الجرحى.

وهكذا هو لم يخرج طوال عمره من زمرة الكفار. صام وصلى و سهر وإبتهل وتضرع الى الله وهو لا يدري انه يفعل كل ذلك وهو على الكفر. وتلك كانت مصيبة الرجل. وهي مصيبة كثير ممن يدعون الصلاح و التقوى و يزاحمون الناس في الصفوف الاولى في الصلاة.

فليحذر الناس من إستدراج الله و ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء. وكل من كان في قلبه ذرة من الشك في الله عليه ان يبادر بإزاحة هذا الشك قبل أن يستدرجه الله.

ثم بعد أن أظهر الرجل كفره بالله رأى أن يكتب كتابه هذا ليبُثَّ فيه كل إلحاده الذي كان مختفيا تحت قشرة التدين السميكة التي كان يلتحف بها دهرا من عمره المديد. كالذي أخفى جرحه عن العيون حتى إستفحل و تقيّح وفاحت رائحته الكريهة وملأت الأرجاء.

هو يظن – بل يعتقد جازما – انه كتب كتابا لم يكتب مثله الأولون اذ يقول: (ويظهر ان القدر قد اختار كتابي هذا ليكون هو هذه الشرارة، فلابد مما ليس منه بد، واقولها مدوية، بلا فخر: لن تجد في اللغة العربية طوال تاريخها بما فيها العصر العباسي الذي شهد حركات إلحادية جريئة، كتابا ككتابي هذا صراحة ووضوحا وجدية وتسمية للأشياء بأسمائها بلا مواربة ولا التواء ولا نفاق ولا تكاذب .... وهذا فخر لي اعلم جيدا انه سيكلفني حياتي ولكنه سيكتب لي الخلود بعد مماتي).

ويذهب ابعد من ذلك حين يظن ان كتابه سيكون مفتاح باب الثورة و الاساس الذي سيقوم عليه نظام جديد خالٍ من القرآن والدين. فهو يقول سادرا في أحلام يقظته: (و سنشهد بعد طبع هذا الكتاب عاصفة هوجاء من التشنج و التعصب والسباب والشتائم والقذف وكيل الاتهام بحساب وبغير حساب وسينفجر البركان كما لم ينفجر من قبل ..... ان كل ذلك لا يهمني، فالمهم عندي اني ارضيت نفسي وقلت كلمتي وانا على شفا حفرتي، وكنت اول من شق الطريق و نهج السبيل).

فلا غرو فهو يرى منذ البدء ان كتابه (دعوة ملحة و صريحة من اجل قراءة القرآن من جديد لنفهمه على حقيقته، وكسر القيود والاغلال التي شوهت تفكيرنا وافسدت قراءتنا للحياة والكون والمصير وفرضت علينا ان نرى الوجود والاشياء من منظورها الايديولوجي الواحد).

وهو يرى كغيره من الملاحدة ان الثورة على النصوص القرآنية و تحكيم العقل عليها هو السبيل الوحيد للإنعتاق نحو التقدم المنشود، إذ يقول: (ولا همّ لي في هذا الكتاب الا اقتحام عرين النص، يجب ان ننزع عن النص اولا قشرة القداسة التي تحيط به، وبغير ذلك لا يسلس لنا قياد النص، ان تعرية النص والتشكيك في قداسة النص وتطبيق المنهج العفلي على النص تفتح لنا آفاقا لا يبلغها اولئك الذين على ابصارهم غشاوة قدسية النص، هؤلاء هم عبدة اصنام، ولا فرق بين عبدة الاصنام وعبدة النص .... لقد آن لنا ان نتخطى الاسوار التي تضربها علينا المصادرة، ولا سبيل الى ذلك الا بانقلاب معرفي في كل ما يتعلق بالاصول، نصوصا وقراءات، انقلابا ينطلق من النظر اليها ومعاملتها على انها مادة خاضعة للعقل وافق مفتوح امام العقل، قابل للنظر واعادة النظر، والا بقى النص مهيمنا ثابتا لا مبدل لكلماته ومن ثم بقيت المعرفة ثابتة، محدودة، مغلقة).

لعل من أكبر محن الملاحدة، بل محنتهم الكبرى أبداً، هي دعوتهم الثابتة في كل زمان ومكان الى الاعتماد على العقل وتقديس العقل!!!

ليت شعري أي عقل؟

الا يدري هولاء ان عقل الانسان محدود لا يستطيع ان يحيط حتى بما يدور حوله دعك مما يدور بعيدا عنه؟

يستطيع أي فرد من الناس ان يثبت قلة حيلة العقل الانساني في كل لحظة. ولا يستطيع كائن من كان من البشر أن يدّعِي كمال العقل الانساني. الملحد نفسه لا يستطيع ان ينكر نقصان عقل الانسان وهذا لا يحتاج مني الى دليل لأنه واقع نعيشه كل لحظة من لحظات حياتنا. وهذا ما يجعل الانسان يكتشف كل يوم شيئا جديدا لم يكن يخطر على باله ولم يكن عقلُه يُحيطُ به. فكيف اذاً يريد الملحدون ان يجعلوا هذا العقل الناقص حَكَما يحتكمون اليه؟ أليس هذا في حد ذاته نقصا في العقل ودعوةً الى الهُراءِ والعبث؟

حينما هرول أبوجهل زعيم الملاحدة العرب وهو يجرّ ثوبه ليُخبر أبا بكرا الصديق بأنّ محمدا زعم أنه ذهب الى بيت المقدس وعاد في ليلته الى مكة، في تلك اللحظة كان أبوجهل يُحكِّمُ عقله. إذ كيف لمحمد ان يذهب الى بيت المقدس ويعود في ليلته و نحن نسير اليه شهرا ونعود في شهر!!!

لكن الصدّيق رضي الله عنه كان يدرك ان عقل الانسان لا يساوي و لا يرتقي لمستوى ان يكون معيارا لانه ناقص ومحدود بطبيعته، لذا حَكّم إيمانَه وقال: انا اصدقّه في خبر السماء ياتيه في ساعة من نهار او ليل أفلا اصدقه في هذا؟!!

واني اتوجه بسؤالي الى ملاحدة اليوم والغد والى يوم القيامة، من الذي ربح قضيته في هذه القصة؟ الصدّيق الذي حَكّم ايمانه ام ابوجهل الذي حَكّم عقله؟

ترى لو عاش ابو جهل الى يومنا هذا و رأى كيف انه باستطاعته هو ان يسافر الى بيت المقدس و يعود في ليلته ماذا كان سيقول؟؟؟

ولا شك ان كل من يحَكّم عقله سيكون مصيره مصير ابي جهل. وهو الخسران المبين.

وليس أدلّ على هذا مما وصل إليه مؤلف الكتاب من تخريف وتجديف، فهو يقول: (لو كان وجود الله حقا مبينا لكان لوجوده اثر ما في احداث هذ العالم الذي يجري كل شئ فيه كأن الله غير موجود، بقولون ان الانسان مفطور على الايمان بالله، فالايمان به بديهي لا يسع الانسان ان يشك فيه، ويحتجون لذلك بهذه الآية "أفي الله شك فاطر السموات والأرض"، نعم في الله شك و شكوك فلو كانت معرفة الله حقيقة مقررة لا تقبل الشك، لو كانت مغروزة في النفس بالفطرة، لما احتيج الى مئات الآلاف من الكتب والفلسفات والديانات لإثبات وجوده، وبالتالي لما شك أحد في وجوده).

لا شك عندي في ان هذا الكلام لا يصدر الا من عقل ناقص. ليست تلك الآية وحدها التي تقرر وجود الله. فالايمان بالله مغروزٌ في النفس البشرية بالفطرة حقا. وكما قلت سابقا فان إيماني بالله يقين ثابت. ذلك لان هذا الايمان نابع من حقيقة لا تقبل الشك ألا وهي وجودي أنا. فالملحد قبل أن يشك في وجود الله عليه أن يشك في وجوده هو نفسه والا فليس للشك في وجود الله سبيل الى العقل السليم.

اما قوله بانه لما أُحتِيج الى مئات الآلاف من الكتب لاثبات وجود الله ان كان وجوده معروفا بالفطرة، فاقول: لا شأن لي بكتب البشر من فلاسفة وغيرهم، لكن الكتب السماوية لم تأت في المبتدأ لإثبات وجود الله وإنما جاءت لتقرير وحدانية الإله. وذلك لأن الانسان في كل زمان ومكان كان يؤمن بوجود إله وخالق لكنه ضلّ عن كُنهِه فجاءت الكتب السماوية لتبيّن له من هو الخالق. اما الملاحدة والكفار فهم فئةٌ قليلة من البشر لا يُعتدّ بهم، لذا نرى ان القرآن في أكثر آياته يتكلم عن الشرك بالله والمشركين بينما الآيات التي تتكلم عن الكفار قليلة.

دعونا الآن ندخل الى لُب الكتاب حيث جعل الرجل جلّ همه نقد القرآن الكريم نصاً و معنىً ولفظاً، فهو يقول: (هذا الكتاب محاولة نقدية جادة للتحرير والانعتاق من الثوابت التي انتهت بنا الى ما نخن عليه اليوم، انه إضاءة للحظة المعتمة الراهنة مدعمة بالشواهد الماخوذة من النص القرآني ونقد له وتحليل لآياته .... كتبت هذا الكتاب بقلب مخلص يشتاق الى التغيير ويريد العمل على القيام بأعمق تغيير، وبالتالي تقديم صورة عن القرآن غير الصورة المعروفة المتداولة في اسواق العامة، بل حتى في اسواق الخاصة، واحيانا خاصة الخاصة. فعبادة النص، والعكوف على النص، والانحناء امام النص لا تفرق في كثير من الحالات بين عامة و خاصة. فكم من عملاق تصاغر امام النص حتى بدا قزما يرتجف هلعا كفأر رأى شبح قط، هكذا يفعل بعملاقنا المغرور زئير النص ... يجب اعادة النظر في التفرقة بين المقدس وغير المقدس .... فلا مقدس الا الانسان والعقل الذي يميز الانسان .... لقد غاب عنا ان النصوص لها اعمار تعيش الى اجل مسمى فاذا جاء اجلها فمن الواجب ان تفسح الطريق لغيرها .... ان النصوص التي لا نجد لها اليوم معنى كانت بالامس تشبع حاجات اسلافنا وتغني حياتهم .... فقد انكب اجدادنا على دراسة القرآن دراسة مليئة بالافتعال والصنعة والتكلف وحملوه من الفصاحة والبلاعة والاعجاز ما لا يحتمل).

مرة اخرى يزعم صاحبنا ان المقدس هو عقل الانسان كدأب الملحدين و أذيالهم من ضعيفي العقل والفهم. و قد بيّنا هنا كيف هزم ايمان ابي بكر عقل ابي جهل. ثم ان التخبط ظاهر في كلام الرجل. فهو يقول ان القرآن كان يشبع حاجات اسلافنا و تُغني حياتهم ثم في ذات اللحظة يقول ان دراسات اسلافنا للقرآن كانت مليئة بالصنعة و التكلّف!! لعمري لو كانت دراساتهم مليئة بالصنعة و التكلّف كما يقول، لما اشبعت حاجاتهم و لما أغنت حياتهم كما يقول أيضا في تخبط واضح بيّن، هو أصلُ داء الملحدين.

فلندخل الى أعماق كتابه الضحل لنقرأ سويا بعض ترهات الملحدين و لنستبين مدى حيرتهم وترددهم ....

وأنوّه هنا إنني كتبت العناوين كما كتبها هو رغم ما في بعضها من سخف وإستهتار الا عنوانا واحدا كما سترون لاحقا....

## "عن القرآن كلام الله"

تحت هذا العنوان يقول الرجل: (في أرض قفر وواد غير ذي زرع خرج محمد ليقول كلمته. واطلت كلمته قرآنا عربيا ظنه غير ذي عوج ... تجربة من الغيب آمن العرب والمسلمون جميعا في مشارق الارض ومغاربها ان محمدا اختير لها ليقود العرب ويخرجهم من الظلمات الى النور ... وبالفعل في جميع مراحل الوحي، او ما يسمى كذلك، تحس كأنما هي اللغة تسعى الى تحقيق ذاتها ... لقد جاء الرجل الذي يقدرها قدرها ويحفظ وردها ويفجر طاقاتها المبدعة وامكاناتها الخلاقة، واخيرا حققت هذه اللغة احلامها وبلغت مع القرآن اقصى امانيها وغاية ما تصبو اليه من آمال ومطامح ... وانتشر مداها واتسعت آفاقها و اخترقت الحدود والسدود فآتت ثمارا يانعة وجنيا طيب الاكل حلو المذاق شهي المطعم والمشرب و انجبت الفطاحل والافذاذ في كل علم وادب وفن واستوعبت كل شئ ولم تعي بالتعبير عن اي شئ وكأنما بطرفة عين او اقرب من ذلك انقلبت من لغة السيف والناقة والبعير الى لغة العلم والفن والفلسفة والحضارة. وانها لمعجزة تذكر لمحمد).

ان في هذا الكلام اعترافا من الرجل بأن محمد هو افصح من تكلم بالعربية اذ نسب اليه كل مجد اللغة العربية. وكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفصح العرب هو حقيقة لا تقبل الجدال، ولكن دعونا نفضح الاضطراب الكبير الذي يعانيه فهم الرجل، وهو اضطراب شائع لدى كل الملحدين اينما وجدوا، ولندعم قولنا هذا من كتابه:

يقول عن القرآن و آياته: (القرآن ليس على مستوى واحد من البيان وقوة التأثير، ومهما طالت لحى المتشنجين والمرجفين والمصطادين في الماء العكر، فضلا عن البسطاء من المؤمنين وضعفاء العقول، فاني اعلنها مدوية على رؤوس الاشهاد، ان القرآن اذا كانت فيه آيات في غاية الروعة والجمال، ففيه آيات اخرى في غاية الاسفاف والتفاهة أربأ بنفسي ان اهبط الى مستواها).

تعالى الله علوا كبيرا.

ما أن وصف الرسول بانه افصح العرب ثم عاد ليقول مثل هذا القول الذي ليس دونه سقطة.

لنقل أولا إن الرجل - أي رجل - مهما كان فصيحا فلابد ان يكون قوله على درجات فيه الفصيح والافصح. أما ان يكون في قوله دون الفصيح بل والتافه من القول، هذا ما لا يصدقه العقل. اذ ما الذي يمكن ان يجعل الرجل الفصيح يقول كلاما تافها؟؟ فما بالك إذا كان هذا الرجل هو افصح الناس؟!!

ما الذي يجعل أفصح العرب يقول كلاما تافها يربأ انسان عادي بنفسه ان يتكلم بمثله كما يقول هذا الملحد؟

ليس هناك سبب سوى ان هذا الانسان العادي لم يفهم ذلك الكلام الفصيح فلم يجد بدا من ان يصفه بالتافه، عجزا أوغيرةً وحسدا. هذا اذا كان الكلام أصلا كلام النبي. لكنه كلام رب النبي، الذي خلق النبي وخلق اللغة نفسها التي يتكلم بها النبي.

يقول الملحد: (يقولون ان الوليد بن المغيرة سمع القرآن و اخذ بروعته وجماله وسحر بيانه، ولا استبعد ذلك فلا يعرف الفضل الا ذووه، ولكنهم ينسبون اليه انه قال وهو العنيد المتمرد "والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق" ولا يكتفون بذلك بل يضيفون اليه هذا التعليق الخطير "وما هو بقول بشر" واعود فاقول اني لا استبعد وصفه للقرآن هذا الوصف الجميل عن عدو لدود للقرآن، فمن احرى من امراء البيان من الانحناء امام روعة البيان وتناسي خصومته لصاحب البيان. ولكني استبعد تعليقه الاخير، والا فما منعه ان يؤمن برب القرآن ما دام اعترف للقرآن بهذه المنزلة العليا. فاذا لم يكن القرآن بقول بشر فهو قول من إذن؟ وارجح الظن ان هذا التعليق هو من اضافة الرواة وما اسخاهم بهذه الاضافات ... فاذا صح ما جاء على لسان الوليد بن المغيرة، ولا مانع عندي ان يكون صحيحا باستثناء الاضافة الاخيرة، فذلك انما يسري على بعض آيات القرآن لا على كله، وهو القرآن المكي ... ولو سمع ما تلا ذلك من القرآن المدني وما فيه من تشويش وتفكك وهشاشة واختلال بل وابتذال و تناقض لرجع في الحال عن حكمه السابق ولرأينا من انكاره ونكيره العجب).

وههنا يريد الرجل ان يلعب بعقولنا. هل يمكن لرجل وصفته بافصح العرب ان يقول كلاما مشوشا مفككا مبتذلا ومتناقضا مهما كان؟ هذا ما لا يكون ابدا.

ثم انه يتساءل عن السبب الذي منع الوليد بن المغيرة من الايمان بالله طالما انه اعترف بان القرآن ليس كلام بشر!! لكأن هذا الملحد لا يقرأ التاريخ!! ألم يقرأ قصة عتبة بن ربيعة الذي ارسله سادات قريش ليستطلع امر محمد. وحينما إلتقى الشقيّ برسول الله صلى الله عليه وسلم و عاد إليهم سألوه: ما وراءك؟ فقال لهم: ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني وأجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه. فإتهموه بأنه قد صبأ و تبع محمداً. فنكص عتبة على أعقابه. فما الذي منعه من اتباع الدين الجديد وقد اقتنع به؟

ألم يقرأ سبب عدم إيمان ابي طالب وهو يعرف تماما ان ابن اخيه نبيُّ يُوحىَ اليه؟ ألم يقل ابو طالب انه يخشى ان تقول عليه قريش إنه أسلم خوفا من الموت؟

إن الوليد بن المغيرة كان واحدا من سادات القبيلة وكان يخشى على مكانته بين قومه وهذا منعه من الايمان بالله كغيره كثيرون عرفوا ان محمدا نبي لكنهم رفضوا التسليم له.

ألم تقرأ قصة ابليس وسبب كفره بالله؟ كان ابليس من افضل الخلق عبادة لكنه كفروطرد من رحمة الله لان عبادته كانت لغرض شخصي ولم تكن خالصة لله. و كل من كان له غرض شخصي لم يهده الله للايمان. والذي أظهر الايمان منهم أرداه الله في الضلال في آخر عمره. وهذا ما حدث تماما للملحد صاحب الكتاب نفسه. هو يتساءل عن سبب عدم ايمان الوليد بن المغيرة و ينسى نفسه وسبب كفره. ألم يقل انه ظل يتضرع الى الله وحينما احس بان الله لا يستجيب له كفر؟

يقول الرجل: (لا يزال القرآن يقف حجر عثرة امام الاتصال بالغرب واستيعاب ثورة الغرب. فالتباين بين مجتمع علماني دينامي حر منفتح على التغيرات وبين مجتمع متخلف آسن لا عمل له الا انتاج ذاته وتكرار ذاته، اقول ان هذا التباين امر مثير للاشمئزاز حقا)

هذا كلام يقوله كل الملحدين والعلمانيين. بل ويحفظونه عن ظهر قلب ويرددونه ليل نهار لكأنما هو آية من آيات دينهم. و رغم ذلك، اذا سألت افقههم في دين الإلحاد، كيف كان القرآن حجر عثرة؟ فلا يستطيع ان يأتيك بجواب مقنع. انهم فقط يؤمنون بهذا بلا دليل ولا برهان. القرآن الذي ما فتئ يأمر الناس بالعلم والتعلم والتدبر والتفكر في الكون والخلق. وهل قامت حضارة الغرب الا على ما نادى به القرآن من التعلم والتفكر؟

لكن الرجل يناقض نفسه و يهدم قوله السابق، كعادة الملاحدة، حينما يقول بعد ذلك مباشرة: (فبمقدار ما كانت المرحلة الكلاسيكية مرحلة دينامية غنيّة قادرة على الاخذ والعطاء والخلق والابداع، والبحث والتمحيص، اتسمت المرحلة الحالية بالركود والجمود والاصولية المتشنجة العمياء التي لا تحسن غير لغة التعصب والعنف والدم والموت والعمل في الظلام. لقد جف النسغ، وضعفت الهمم، واغلق باب الاجتهاد الى غير رجعة، لقد تركت الدراسات العلمية الخصبة مكانها شيئا فشيئا لخطاب الايديلوجيا الاستسلامية والتوكلية الغيبية الغبيّة، ولم يكن ذلك راجعا الى رقابة لاهوتية شبيهة بالسلطة الكنسية في العصور الوسطى المسيحية، بل الى تفكك الاطر الاجتماعية والسياسية للعالم العربي الاسلامي، وانحسار المد العقلي والروحي ابتداء من القرنين الحادي عشر والثاني عشر).

فهو بعد ان اتهم القرآن بانه يقف حجر عثرة امام الحداثة، وبدلا من ان يقدم الدليل على ذلك، ذهب ليقول ان المرحلة التي ساد فيها القرآن، وهي المرحلة التي اسماها الكلاسيكية، كانت مرحلة دينامية غنية قادرة على الاخذ والعطاء. ويقول ان الانهيار العربي والاسلامي بدأ مع انحسار المد العقلي والروحي، اي بدأ التخلف العربي والاسلامي مع الابتعاد عن القرآن.

أليس هذا الكلام دليلا على الاضطراب الكامل الذي يسيطر على عقول العلمانيين و الملحدين؟

هم في الحقيقة لا يدركون ما هم سادرون فيه من الغي والضلال والبعد عن العقل.

يقول الرجل ومن خلفه الملاحدة والعلمانيون: (لقد استبقى القرآن كثيرا من الشعائر والطقوس التي كانت سائدة قبله في شبه الجزيرة العربية، تقديس الكعبة والحجر الاسود وشعائر الحج واساطير الجن وحكايات الامم السالفة، فجمع هذه الانقاض واحيا هذه الرمم واعاد تركيبها ليبنى صرحا ايديولجيا جديدا اضاف اليه الكثير من العناصر والقوى الفعالة التي تخدم قضيته في مجالات الحياة المختلفة)

لا أدري في الحقيقة لم حشر الرجل مثل هذا الكلام في كتابه؟ اظن انه فقط احدى السبل للطعن في القرآن والاسلام. فإذا كان يتحدث عن الحداثة فلماذا لا يخبرنا كيف منعنا الحج من الحداثة؟ او كيف تسبب تقبيل الحجر الاسود في تخلفنا عن ركب الامم؟ هل منعنا إيماننا بوجود الجِن من انشاء مصنع مثلا؟ ألم يقل هو نفسه من قبل ان الزمن الكلاسيكي للقرآن كان ديناميا وغنيا؟ فهل أهل ذلك الزمان كانوا لا يحُجّون او لا يؤمنون بالجِن؟

كل هذا الهراء هو فقط لان الغشاوة السميكة التي تحجب بصائرهم تزداد سمكا يوما بعد يوم حتى يبلغ الله بهم يومهم الذي يوعدون.

يقول الرجل: (ان تطبيق المنهج العقلي على القرآن هو في نظري حدث خطير وكبير سيزلزل الارض تحت اقدام التقليد والجمود والعفن الآسن، وهو امر لابد منه، واخر الدواء الكي ... ألحّ في الشك واعتنقه منهجا، اذ الشكوك، كما يقول الغزالي، هي الموصلة للحق ... هذا هو منهاجي في العمل، وهكذا اخذت ابحث وافكر واقرأ واتدبر حتى انتهى بي الحال الى ما يشبه اليقين، ذلك بان ما نسميه بإعجاز القرآن وعصمة القرآن إنما هو عمل بشري فيه الخطأ وفيه الصواب، وانا اقدر النتائج التي قد توصلت اليها، لكن ذلك لن يثنيني عن إثباتها و إذاعتها).

والله انه لأمر مضحك ما يريد الرجل ان يذيعه علينا، فهو بعد كل البحث والتفكير والتدبر لم يصل إلّا الى ما يشبه اليقين. وبما ان اليقين هو الحقيقة فهو يقول انه وصل الى ما يشبه الحقيقة لا الى الحقيقة نفسها. ورغم ذلك يريد ان يذيعه علينا على انه الحقيقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!!

إن سؤالا مهما لابد أن يجيب عليه كل من يزعم ان القرآن هو كلام محمد:

لقد أسس هذا الكتاب - كما يقول هذا الملحد نفسه - حضارة انسانية كاملة سادت قرونا. حضارة بكل آدابها و فنونها وعلومها مما اسماه هذا الملحد، معجزة محمد. فهل لفرد واحد من الناس مهما بلغ من العقل والعلم ان يضع كتابا واحدا يؤسس لمثل تلك الحضارة؟ هل يستطيع كبار علماء أعرق الجامعات التي يؤمن بها الملحدون، مثل هارفارد وييل و اكسفورد وغيرها، مجتمعين ان يكتبوا كتابا واحدا ليكون أساسا لحضارة إنسانية تدوم قرونا؟ هل يمكن لكتاب يؤلفه رجل من الصحراء لا يكتب ولا يقرأ ان يؤسس لمثل هذه الحضارة؟ ثم هل يمكن لكتاب وصفه الكاتب بانه ركيك ومليء بالتافه من القول أن يقيم دولة ناهيك ان يقيم حضارة كاملة؟!!

بالله عليكم، كيف يعقل هذا؟ ان الملحد الذي يقدس العقل يريدنا ان نقتنع بكلام، لا يجتمع هو والعقل في مكان واحد.

ثم يتكلم الرجل في اعجاز القرآن فيقول: (اجمع اهل العربية قاطبة، واهل اللُسن منهم والبيان خاصة على ان القرآن معجز بذاته، أي ان اعجازه انما كان بنظمه العجيب، اي بفصاحة الفاظه وروعة بيانه واسلوبه الفريد الذي لا يضاهيه اسلوب، ومسحته اللفظية الخلابة التي تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي وبراعته الفنية).

ثم يقول في نقلة مفاجئة كأنما هبط من شاهق الى سحيق: (ان عقيدة اعجاز القرآن لا تعدو ان تكون اسطورة من الاساطير، كلا ليس القرآن من اسرار الآلهة، انه لا يمت بأي صلة الى الإلهام السماوي ... انه انجاز بشري ... ان القرآن كتاب عادي جدا).

كيف يُجمِع اهل العربية قاطبة واهل اللُسن والبيان منهم خاصة على اعجاز القرآن باعتراف الرجل ثم يخرج هو عن هذا الاجماع ليقول ان اعجاز القرآن اسطورة وانه كتاب عادي؟

من يكون الرجل ليخرج على اجماع اهل الصنعة؟ هل هو افصح من تكلم العربية ونحن لا ندري؟

ثم انظروا اليه وهو يعترف، من حيث يدري او لا يدري، ان كل مَنْ طعنوا في القرآن كانت لهم ثارات مع القرآن ورب القرآن سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

اذ يقول: (إن الكثير من كبار الزنادقة، وهم شعوبيون، جرح الاسلام كبرياءهم فأخذتهم العزة القومية بالاثم وحملتهم على التعصب لدين الآباء من المجوس والثنوية المانوية والحقد على الاسلام الذي قضى على امجادهم وحطم احلامهم في البقاء والعيش الكريم وانضم اليهم رهط من الشعراء ممن ينتمون الى عصبة المُجّان فرارا من تكاليف الدين وطلبا لحياة حُرّة لاقيود فيها ولا رسوم. ثم جاء العصر العباسي الذي نشطت فيه الحركة الشعوبية جنبا الى جنب مع حركة الزندقة و اشتدت الحملة على الاسلام والطعن في قدس اقداسه وهو القرآن).

تُرَى، من أي الطائفتين من الملاحدة كان هو؟

بالطبع هو ليس من طائفة الشعراء المُجّان، لكنه بكل تأكيد يصلح ان يوصف بأنه من ضمن الطائفة التي قضى الاسلام على احلامهم وامجادهم. هذا ليس افتراءً مني على الرجل، بل هو ما اعترف به وأثبته في كتابه في اكثر من مكان حيث يقول: (ويح سخفي وغبائي! يا لبلاهتي! ترى كم كنت ساذجا عندما سمحت للاساطير "يعني القرآن" ان تأكل عمري وزهرة شبابي! يا حسرتي على عمر قضيته مع حبيب "يعني الله" لا يعبأ بي ولم يشعر يوما بوجودي! تبا لي وتعسا! كيف لم اكتشف ذلك وارجع الى رشدي الا وانا على ابواب ارذل العمر! مذا دهاني؟! ماذا تبقى لي من العمر لاشعر بمتعة وجودي؟!)

وهنا اذكر بكل خشوع وخضوع ورهبة، حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين يقول: " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له بعمل أهل الجنة "([[6]](#footnote-6)) وصدق رسول الله. فلئن رأيت كلاما مجسدا فهو هذا الحديث الشريف في هيئة هذا الرجل. وانه لأمر يزيدني رهبة وخوفا من الله حين يستدرج الناس من حيث لا يعلمون.

كنت في السابق، أتعجب وأستغرب حينما اقرأ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثاني وزراء النبي و الرجل الذي يزن ايمانه ايمان الأُمّة بدون النبي والصديق، كنت استغرب حين يلحّ على حذيفة بن اليمان كاتم اسرار النبي في المنافقين، يسأله بإلحاح شديد ان كان النبي قد ذكره في المنافقين!!

وكنت اتعجب حينما أقرأ ان الصديق و الفاروق كانا لا ينامان الليل بكاءً من خشية الله.

حينما قرأت كتاب هذا الرجل عرفت أشياء كثيرة كانت خافية عني.

كنت اقرأ هذه الآيات في القرآن ولا أعيرها إنتباهة " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ \* أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ"([[7]](#footnote-7))، أما الآن فإني اعلم ما تعنيه. واعلم لماذا كان العلماء دائما هم اكثر الناس خشية لله " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"([[8]](#footnote-8))، ولماذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انا اخشاكم لله"([[9]](#footnote-9))

أن تعبد الله ثمانين سنة ثم تكفر به وانت على حافة قبرك!!! لا مصيبة بعدها الا دخول النار.

إنا لله وإنا اليه راجعون.

ثم يقول الرجل: (كما ان الغموض والالغاز يلفّ عددا لا يستهان به من الآيات بحيث يحار المرء في فهم المعنى المقصود من هذه الآية او تلك حتى ان بعضها ليبدو بلا معنى).

اول ما ينبغي قوله هنا لكل الملحدين هو ان وجود آيات غير مفهومة في القرآن له معنى وسبب، منها ان القرآن لم يكن كله لزمن محدد فما لا نفهمها نحن اليوم من الآيات قد تأتي اجيال بعدنا تفهم اسرارها. ثانيا: ليس من المعقول ان يحيط عقلنا البشري الناقص بكل ما ورد في كتاب الله وستبقى آيات في القرآن لا نفهمها حتى يوم القيامة والله يقول " هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"([[10]](#footnote-10))

أبعد هذا يأتي ناعق ويصرخ في الناس انه وجد آيات غير مفهومة في القرآن كأنه اكتشف سرا في القرآن لم يكن يعلم به أحد؟ لكنه في الحقيقة يريد بذلك خداع ضعيفي الإيمان من المسلمين ليجرهم معه الى بئر الإلحاد.

والشئ الثالث انه حتى الآيات المُحكَمات يختلف الناس في فهمها. فكل عالم او فقيه يفهم حسب قدرته العقلية والعلمية و حسب بيئته و ما حوله. فتفسير الآية الواحدة قد تختلف من زمان لزمان ومن مكان لمكان بل ومن فقيه الى آخر حتى في الزمان والمكان الواحد. وما قصة نزول سورة النصر واختلاف الصحابة في فهمها ببعيدة عن الاذهان، يعرفها حتى تلاميذ المدارس لكنها عُميت على من أضلّهم الله. و من قمة اعجاز القرآن قدرته على استيعاب أشكال متعددة من الحوادث في مختلف الازمنة والامكنة.

ألا يعرف هذا الرجل، وقد كان معلما للقرآن، ان القرآن هو دين لكل الناس بمختلف اوطانهم واحوالهم وازمنتهم الى قيام الساعة؟!

ثم اذا كانت كتبٌ كتبَها بشرٌ مثلنا، يختلف الناس في فهم مقاصدهم فيها، فما بالك بكتاب الله!!!

ثم يصف الرجل آيات القرآن بأنها غير مرتبة ولا مترابطة وليست على نسق واحد وانها مفككة ومشوشة ويقول: (ان اول ما يصدم النظر في القرآن هو تفككه، وهذا التفكك لا يحسه المؤمن لطول ألفته للنص أولا ولأن الايمان درع واقية يحفظ صاحبه من التطلع الى ما في هذا النص من عيوب).

فهو يقول ان النفكك لا يحسّه المؤمن لطول أُلفتِه للنص، فما باله وهو الذي قضى سبعين سنة او يزيد من عمره في ألفة النص لم تمنعه ألفته للنص كل تلك السنين من ملاحظة التفكك ان كان هناك تفكك؟

الحقيقة التي قالها الرجل دون ان يشعر هي: انه رأى القرآن متفككا فقط بعد ان أبىَ الله ان يستجيب دعاءه وينزّل عليه مائدة من السماء او نقودا تنزل عليه بها الملائكة ليسدد ديونه التي أنهكته.

ثم انظروا شدّة الركاكة في كلامه هو لا في القرآن، حينما يقول: ان الايمان درعٌ واقية يحفظ صاحبه من التطلع الى ما في هذا النص من عيوب!! منذ متى كان الحرمان من التطلع الى العيوب حفظا؟ بل هو مهلكة إن كان للرجل فهم!!

ثم يقول: (انظروا الى هذه الآيات، القفزات، ودلوني على ما يربط بينها: "الآيات 17/ 70 – 88 من سورة الاسراء، إن سورة الاسراء كلها من هذا القبيل قفزات ينتقل بها القرآن من واد الى آخر).

ترى من الذي قال لهذا الرجل ان آيات القرآن يجب ان تكون ككتابات الجاحظ و غيرهم من الكُتّاب؟ من الذي قال ان آيات القرآن يجب ان تكون على نسق معين؟

اني لا ارى فيما يراه الرجل تشويشا وضعفا وركاكة. بل لا ارى فيه الا دقّةً وبلاغةً لا يوجد نظيرهما في الغربية. و لو كان القرآن من تأليف رجل بليغ كما قال لإجتهد مؤلفه أيما إجتهاد في ان يأتي كتابه على نسق معين ومعروف حتى لا يكون محلا للطعن والقيل والقال. وبما انه – القرآن الكريم - ليس من تاليف رجل فأراد له الله ان يكون مختلفا تماما عن الطرق المألوفة في الكتابة و هنا يكمن إعجاز القرآن.

ثم يقول: (ما قولكم دام فضلكم في الآية التالية؟ افتوني في امري يا ارباب الفصاحة والبيان ويا سدنة المنطق والبرهان. قال تعالى في حكايته قصة يونس عندما إلتقطه الحوت: " فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ \* وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ \* وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ \* فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ \* فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ \* أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ" فما شأن الملائكة هنا وانوثتها بقصة يونس؟ ما بالكم لا تضيفون الى ابواب البلاغة بابا تسمونه باب النشاز او النتوء).

لست ادري كيف لرجل كان يدرس القرآن ان يسأل مثل هذا السؤال؟

يفهم الكل – حتى تلاميذ المدارس – من هذه الآيات ان قوم سيدنا يونس عليه السلام كانوا يعتقدون ان الملائكة إناث وانهن بنات الله. فأرسل الله لهم النبي يونس ليصحح إعتقادهم. وهذا واضحٌ وجليّ، ولكن حينما يصرّ الملحد على الطعن في الدين فان الله يعمي بصيرته فيأتي بأسئلة عجيبة عن معانٍ يعرفها الجميع كما لو أنها معضلات تستعصي على الفهم. ثم ألم يقرأ باقي الآيات وهي التي تبيّن بجلاء ما خُفيّ عليه؟ حيث يقول تعالى: " أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ \* وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ"([[11]](#footnote-11))

وعلى هذا النسق فان كل إدعاءٍ له بتفكك القرآن هو هراء أملاه عليه غضبه من الله الذي لم يستجب له على علم.

ويقول ايضا: (والغريب ان هذا التفكك لا ينحصر في اختلال سياق الآيات في الصفحة الواحدة بحيث يجعل من هذه الصفحة حشدا عجيبا من الآيات المتنافرة، بل ان الاختلال يشق الآية الواحدة ويباعد بين طرفيها، فاذا آخرها غير منسجم مع اولها: " إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ" فما علاقة آخر هذه الآية باولها؟ ما بال العازفين على اوتار فصاحة القرآن واعجاز القرآن يتجاهلون هذه الآية وامثالها؟).

سبحان الله!!! يبدو ان هذا الرجل كلما كانت الآية شديدة البلاغة تاه عقلُه في إدراك معناها!!

ان كان حقا قد عجز عقله عن معرفة علاقة آخر الاية بأولها فإنه والله ليس له عقل يستحق ان يقدّسه او يِحتَكم إليه في شئ. فهو كعقل الهالك في القليب، ابوجهل.

هذه الآية بليغة وواضحة وتتكلم عن الرجال الذين يزعمون إنهم مُطّلِعون على الغيب، امثال شيوخ الدجل والشعوذة، الذين يلجأ إليهم بعض الناس بحثا عن الانجاب او الرزق، معتقدين في قدرتهم على تحقيق ذلك، بدلا من اللجوء الى الله. يأتي هؤلاء الناس يوم القيامة فيسألهم الله أين أولئك الذين لجأتم اليهم في الدنيا فليأتوا لينقذوكم مما انتم مقبلون عليه من عذاب. ثم يقول سبحانه وتعالى تمام الآيات: " وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ"([[12]](#footnote-12)) وهذا ما لم يذكره الملحد تفتيتاً للآيات حتى يظن القارئ الغافل الذي لا يطّلع على القرآن إن الرجل على حق في سؤاله.

ثم يقول: (والآن دونكم هذه الاية فاعينوني على فهمها اعانكم الله: " وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا \* وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا"، هذه الآية الاخيرة من الاعاجيب ... فاني رغم جميع ما قرأت في كتب التفسير وما فيها من مقبول ومرزول وثرثرة فارغة واغتصاب للمعاني، لا ازال حتى الآن عاجزا عن فهم العلاقة بين عدم القسط في اليتامى وبين النكاح).

ان هذه الآية تتكلم عن حقوق اليتيم وهذا مفهوم.

لمن تتوجه الآية بالاوامر؟ لا شك للقيّم على اليتيم. فالآية الكريمة، البليغة، تدعوا الى العدل مع اليتيم ورعايته. فإن كان القيّم لا يستطيع رعاية اليتيم لأي سبب فله في هذه الحالة تزويج أُم اليتيم حتى يقوم زوجها الجديد برعاية أبنائها. وبما أن الرغبة في الزواج من أرملة غالبا لا تكون الا من المتزوجين، بمعنى ان الرجل البكر، فيما شاع بين الناس، لا يكون لديه الرغبة في الزواج من مطلقة او ارملة، لهذا فإنّ الله أحلّ للمتزوج ان يتزوج مرة ثانية او ثالثة و رابعة دون حرج. رعايةً لليتيم وصوناً لعفّة الأرملة. وهذه المعاني واضحة وصريحة ومفهومة، الا اذا كان السامع في اذنيه وَقَر وفي عقله خلل حينها سيقف متعجبا محتارا.

ثم يأتي بآية بليغة لفظا ومعنى ليطعن فيها فيقول: ("إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ \* لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ \* يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ". أفما كان من الواجب ان يبدأ بطي السماء ثم يذكر ما يترتب على الخلق من جزاء وعقاب؟ هل القلب يا أمراء البيان باب من ابواب البلاغة والبيان؟).

أقول له: القلب باب من ابواب البلاغة والبيان لمن يستطيعه ممن يملكون ناصية اللغة. والقلب حينما يكون بهذه السلاسة و هذا الوضوح فإنه قمة من قمم البلاغة والفصاحة.

ثم ان القلب ليس بدعة في اللغة وهو معروف في لغة العرب.

ثم يقول عن اهل الكهف: (وبعد ان تحدث القرآن عن اهل الكهف وكيف بعثهم الله من مرقدهم، عرج على عددهم واختلاف الناس فيه، وبدلا من ان يذكر لنا العدد اللغز، هذه التحفة النادرة، هذا السر المكنون، ضنّ علينا به ليجعل ذلك حسرة في قلوبنا).!!!

إن كان من عقل ملأه الله هراءً فهو عقول الملاحدة الذين لا يكلّون ولا يملّون من اللهث خلف آياتٍ يظنونها نقاط ضَعفٍ في كتاب الله. يريدون أن يلجِوا منها ليهدّوا بنيان القرآن!!! وما درى هؤلاء إن كتاب الله هو بنيان الله، وليس لمخلوق إليه سبيل. وقد أرداهم ظنُّهم السيءُ بالله.

ترى ماذا كان سيستفيد هذا الملحد لو عرف عدد اصحاب الكهف؟ هل كان ذلك سيغيّر من كفره بالقرآن ورب القرآن؟ ثم هل ذِكر العدد له علاقة بالمسألة الإيمانية التي هي اساس وجود القرآن؟

ثم يقول: (وحبذا لو استكمل الحلقة الاخيرة من القصة ومنّ علينا بمعرفة مدة اقامتهم في الكهف، هم وكلبهم الاثير، لكنه سبحانه آثر - لحكمة لا يعلمها الا هو ايضا – ان يقطع لهفتنا بنتوء شاذ آخر لا ارى، انا العبد الفقير، وجها له وان كان سادتنا المفسّرون يرون له الف وجه ووجه. ثم قال بعد الاية السابقة مباشرة: ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله، واذكر ربك اذا نسيت، وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا")!!

إنّ هذه الآية إنما جاءت في صميم سياق آيات اصحاب الكهف وانها ليست نتوءً كما يتوهم الرجل. ألم يقرأ في التفاسير إن بعض اهل الكتاب جادلوا بعضهم في عدد اهل الكهف فقال بعضهم، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال آخرون هم خمسة سادسهم كلبهم، وقال غيرهم هم سبعة وثامنهم كلبهم. فلما اختلفوا سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فأرجأَهم الى الغد ليأتيهم بالإجابة. لكن إنقطع الوحي عن الرسول برهة من الزمن حتى حَزن لذلك. ثم جاءه الوحي معاتبا له بأنه حينما وعد أهل الكتاب أنْ يأتيهم بالإجابة على سؤالهم نسي أن يقول "ان شاء الله" فكان هذا تعليما من الله لرسوله وللمؤمنين ان يقدموا المشيئة قبل الالتزام. وهذه واحدة من أهم الدروس المستفادة من ذكر قصة اهل الكهف.

فاذا كان الملحد يقول: (وليته، يعني القرآن، لم يأت على ذكر هذه القصة اصلا وفرعا، فهي قصة مبتورة لا ادري رأي اصحاب الفن القصصي فيها).

فالرد: إن قصة اهل الكهف لم تُنزّل كقصة تريها لأطفالك ليناموا عليها. ولم تكن قصة من تلك التي يرويها القُصاص للناس في السبل ترفيهاً. قصص القرآن ليست كتلك القصص وإنما وراءها ما وراءها من الحِكم والدروس والعِبر ليستفيد منها المؤمنون في حياتهم وفي عبادتهم. فإذا كانت الآيات قد أبرزت ضرورة التوكل على الله وتقديم المشيئة الإلهية التي بدونها لا يتم اي عمل. فإنها تُعلمُنا ان ما شاء الله يكون وما لا يشأ لا يكون. ولا يغرّنّ أحدٌ ما يفتريه الملحدون من أنك لو خططت جيدا ووفرت كافة المعينات فإنك لابد ستنجز العمل! إن هذا قول فارغ وهراء. فقد وفر زعيم الملاحدة أقوى جيش يوم بدر وخرج ينشد القتال وإلتقى بقوم هم اقل من الثلث خرجوا لا يبتغون قتالا، وبعد كل هذا هُزِم شرّ هزيمة وكان القليب مصيره هو ورفاقه. وفي عصر قريب صنع من صنع سفينة قالوا إنها لن تغرق ابدا لانهم جهزوها بكل التقنيات التي تمنع السفن من الغرق وتحدّوا بها الله وفي اول رحلة لها اخذها الله اخذ عزيز مقتدر، ليسفّه بها أحلامهم و يُنيِخَ بها كبرياءهم.([[13]](#footnote-13))

ثم هناك حِكَمٌ اخرى كثيرة تعلمها المؤمنون من قصة اهل الكهف، منها ان قوّي الايمان لا ينحني لطواغيت الشرك والكفر فإن كان لا يستطيع مدافعة الشر عن نفسه فعليه الهرب بدينه والنجاة بنفسه، وانه لا يجوز الخضوع للكفار بدواعي الضَعف وعدم القدرة، " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"([[14]](#footnote-14)) فلا يجوز لاحد أن يأتي يوم القيامة و يتذرع بأنه كفر لأنه كان مستضعفا في الارض.

وغير هذه، حِكَمٌ كثيرة ليس هذا مكان الكلام عنها. لكن حينما يعمي الله بصيرة أحد يجعله يتخبط لا يدري ميمنته من ميسرته ولا أعلاه من اسفله.

وبعد هرطقات كثيرة عن تفكك القرآن والتشويش الذي فيه وغير ذلك من الكلام الواهن الذي لا يساوي المداد الذي كتب به يقول الرجل:

(لقد كان القرآن اختراقا فأصبح إحتراقا، لقد كان ثورة الثورات في عصر انعدمت فيه الثورات. لقد كان القرآن في عصر القرآن من اهم عوامل التقدم، واما اليوم فهو معرقل لكل تقدم. ولا ادلّ على ذلك من تلك القفزة النوعية المذهلة الرائعة التي نقلت اجدادنا العرب من هامش التاريخ الى سدّة التاريخ. وجعلت منهم صُناعا للتاريخ وسادة من سادات التاريخ، فلولا القرآن لظلوا يتسكعون في وضعهم الآسن الى يوم يبعثون. فكانما القرآن جاءهم على موعد مع الاحداث فقذف بهم في خضم الاحداث واخترق بهم الآفاق)!!

ألسنا نرى يا سادتي الاضطراب العقلي في أبهى صُوَرِه هنا إن كان يمكن ان يوصف بالبهاء؟!!

أيصدّق هذا الرجل وغيره من الملاحدة ان كتابا ألّفه رجل لا يكتب ولا يقرأ قد فعل كل تلك الافاعيل في أُمّة بدوية لا تحسن سوى النهب والسلب وقطع الطريق وقول الشعر وجعل منهم أُمةً ذات حضارة من أعرق، بل هي أعرق وأنبل حضارات البشر على مر العصور والدهور؟!!

نعم، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أحكَم من دبّ على وجه الارض. هذا لا جدال فيه ولكن حكمتُه تلك وعلمُه إنّما هما قبسٌ من حكمة وعلم الله سبحانه وتعالى ولم يتعلمها في مدارس او جامعات البشر ولم يكن ما أتى به اساطير الاولين تعلمها من الكهنة كما يزعم بعض الذين يجيدون ليّ عنق التاريخ.

إن كان الملاحدة يصدّقون ان كتابا واحدا يؤلفه واحد من البشر مهما علا شأنه يمكن ان يؤسس لاعظم حضارة مثل الحضارة الاسلامية فهذا يعني إنهم يصدّقون شيئا لا يتسق مع المنطق ولا مع العقل. فاذا كان حالهم كذلك فلماذا يلومون المؤمنين الذين يصدّقون قصة المعراج؟ على ان المؤمن له من ايمانه سند فيما يصدقه، فما سند الملحد في تصديقه لللا معقول؟

ثم يتكلم الرجل بعد ذلك عن الغموض في القرآن و يتساءل عن الحروف المقطعة في بدايات بعض السور مثل "ألم" و "طس" و "كهيعص" وغيرها و يقول: (ما هذه الالغاز؟ هل هذا من القرآن الذي فصلت آياته بلسان عربي مبين؟)

ولقد سبق ان رددنا على قوله في غموض بعض آيات القرآن وقلنا ان القرآن نفسه قد اثبت ان هناك آيات متشابهات لا يعلم تأويلهن الا الله، فلم الصراخ والعويل و السؤال عما هو محسوم ومفروغ منه؟

نحن لا نعلم ولا أحد يعلم مراد الله من هذه الحروف، الا من شاء الله، لكننا نؤمن بانها من آيات الله. ثم إنه لا يضير المسلم ألّا يفهم الكثير من الآيات طالما إن آيات الاحكام وقواعد الدين مفهومة وواضحة.

ثم يتهم القرآن بأنه احيانا يندفع الى تفاصيل لا موجب لها ولا معنى لها فيقول: (خذ مثلا هذه الآية: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا \* وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا"، انا لا افهم اي معنى لكلمة "ايمن" في شعاب واسعة لا معالم لها وكل شئ فيها يصلح ان يكون على يمين شئ آخر او يساره، فالجهات من المضاف، اي ليس لها معنى مطلق، بل هي نسبية يتحدد معناها بالقياس الى غيرها)!!!

سبحان الله!!!

يقول الملحد "انا لا افهم اي معنى لكلمة ايمن"!!، هل حقا كنت تدرس القرآن يوما ما؟

كون انك لا تفهم معنى كلمة في القرآن او في اي كتاب لا يعطيك الحق لتطعن فيه. فان ما لا تفهمه انت قد يفهمه غيرك.

يقدم أحد الاخوة ردا علميا على هذا الملحد في احد مواقع الانترنت. ومما قاله الاخ جزاه الله خيرا عن كلمة "أيمن": "هناك اختلافات وظيفية جوهرية بين نصفي المخ ... وظائف اللغة تقع في النصف الايسر من المخ ... وكان لموسى مشكلة في الكلام وتوجد علاقة بين مشكلة الكلام و الفص الايسر في المخ. واثارة الفص الايسر من المخ تقتضي التحرك يمينا"([[15]](#footnote-15))

اما انا فأسأل الملحد: ما أدراك ان كانت هذه الكلمة تعني شيئا آخر غير الذي فهمته؟ هل كلمة أيمن لها معنى واحد في اللغة العربية؟ أنا افهم هذه الكلمة في هذا المكان بمعنى "أبرك" من البركة وليست من اليمين واليسار وانما من اليُمْن والايمان. نحن نعلم ان كثيرا من آيات القرآن تفسر بعضها بعضا وفي القصص: " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"([[16]](#footnote-16))

ثم يفتري فرية اخرى ويقول: (كذلك نرى القرآن عندما يعرض لقصة اهل الكهف وكلبهم الامين، نراه يأتي على تفاصيل بلغت مبلغ السخف ومع ذلك لا يستقر على عدد معين لهم).

وهنا تغِيبُ حقيقة كاملة عن ذهن معلم القرآن الكافر، وهي ان الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات انما ينقل لنا الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بعض النصارى ولا شك ان نقل الحوار دون زيادة او نقصان هو من الأمانة. وقد قلنا ان عدد اهل الكهف وعدد سنوات بقائهم داخل الكهف ليست من مراد القرآن، اذ انها امور عرفناها او لم نعرفها، لا تأثير لها في المسألة الإيمانية. فقط الدروس المستفادة من قصة اهل الكهف والمرتبطة بالايمان والتعامل مع الطغاة والتوكل على الله وغيرها من الحِكَم هي المطلوبة ولا ارى داعيا لصراخ الملاحدة والحسرة التي تاكل قلوبهم لعدم معرفتهم عدد اصحاب الكهف.

ثم يتكلم الرجل عن قصة السامري و يتساءل: (فما المقصود بقوله تعالى: "ولكنا حُمّلنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها"، اين قذفوها؟ يقول المفسرون انهم قذفوها في النار. كيف عرفوها لولا اساطير التوراة التي يقول القرآن انها محرفة؟ فما ضرّ لو ذكر كلمة "نار"؟ لم يُلجِئنا الى كتاب محرّف لنفهم غير المحرّف؟)!!

والله لم يُلجِئنا القرآن لأي كتاب آخر لنفهم معنى الآية. فالآية تقول: " قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ \* فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ"([[17]](#footnote-17))

الزينة هي الذهب والفضة. فإذا اردت ان اشكّلهما في اي شكل فلابد ان القيهما في النار، فهل هذا يحتاج ان نبحث في التوراة لنعرفه؟

ثم يقول: (واذا اردتم مزيدا من الالغاز في آيات القرآن فدونكم هذه الآية: " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"، لا شئ كالاسطورة يضفي المعنى على هذه الاية)

ثم يأتي بواحد من التفاسير لهذه الآية وهو التفسير الذي يقول بان الجسد الذي القاه الله على كرسي سليمان كان رجلا من الجن تزوج النبي سليمان بمحبوبته.

في الواقع ان بعض تفاسير القرآن اعطت الملحدين و المستشرقين فرصا ذهبية للطعن في القرآن. ولكن المسلم، يرى ان تفاسير القرآن لا تعنى مراد الله وانما هي اجتهادات بشرية قد تصيب او تخيب. فاذا كان المستشرقون لهم العذر لعدم معرفتهم باسرار اللغة العربية، فما هو عذر العربي الذي يمتطي صهوة التفاسير ليطعن في كتاب الله؟

لا أرى ان من الصواب ان يعمد المفسرون الى محاولة تفسير كل الآيات، اذ ان هناك آيات كثيرة تتكلم عن وقائع تاريخية يجب عدم الخوض فيها دون سند قطعي.

ما يجب ان نستخلصه من هذه الآية هو ان الله سبحانه وتعالى قد يفتن حتى الرسل والانبياء وبالتالي على بقية المؤمنين الا يحزنوا اذا امتحنهم الله بل عليهم التوبة والاستغفار والصبر دائما لاجتياز الابتلاءات. وهذا هو الذي ينبغي فهمه. اما ما هو نوع الجسد وما الى ذلك من اسئلة ينبغي عدم الحديث عنها الا عن علم.

ثم يقول ان القرآن مع غموضه يستعمل الالفاظ المتضادة، اي الالفاظ التي تفيد معنيين متضادين في نفس الوقت وفي هذا يقول: (فالفعل "غَبَرَ" مثلا له معنيان متضادان، مضى و بقى، فقد وردت هذه الكلمة سبع مرات في سبع آيات تتحدث عن إمرأة لوط، " إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ"). ولقد جاء بتفسير الآية ولم يبيّن لنا اي عيب في تأثير اللفظ ذو المعنيين على مفهوم الآية. وهذا يعني ببساطة انه لم يجد اي مأخذ على هذا اللفظ مما يؤكد انه يسوق كثيرا من الكلام بلا اي معنى ولا اي هدف. وفي كل الاحوال، سواء كان غابر يعني ماض او باق فان ما فهمناه هو ان زوجة لوط عليه السلام كانت من الهالكين وهذا هو مراد الآية وهذا ما يفهمه كل من يفهم اللغة. ثم جاء بكلمة اخرى هي كلمة "ظن" التي تفيد الشك و اليقين وبقول: (فان القرآن لم يجد حرجا في استعمالها " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ \* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"). وحقا هنا يبرز غباء الرجل وضيق افقه وضحالة فكره وجهله التام بالقرآن. فهو يقول: (فهل يصح استعمال الفعل "ظن" في هذا الموضع. اذ قد يكون معناه ههنا انه ليس من الضروري ان يبلغ ايمان المرء باليوم الاخر مبلغ اليقين، بل يكتفي الله من العبد في هذه الحالة، بالظن وهو اضعف الايمان، فما المانع ان يكون معنى الاية كذلك والنص لا يمنع ذلك؟).

مفاهيم كثيرة خاطئة يسوقها الرجل ليدلل بها على إفتراءاته. ولعل اولها قوله ان كلمة "ظن" تعني أضعف الايمان. ولا شك ان هذا فيه اضطراب ما بعده اضطراب. فهو يرى ان الشك هو أضعف الايمان بينما الحقيقة هي ان الشك مرحلة من مراحل الكفر ومن مات وهو يشك في وجود الله لا يموت مؤمنا. والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن " وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ"([[18]](#footnote-18)) و يقول تعالى: " وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا"([[19]](#footnote-19))، ام ان الرجل لم يقرأ او يسمع بهذه الآيات طوال سبعين سنة قضاها طالبا للعلم ومعلما؟

ثم يقول ما المانع ان يكون معنى الاية كذلك والنص لا يمنع ذلك. واقول له: بل النص يمنع ذلك مطلقا. لكن النصوص تحتاج لمن يفهمها. فالمانع هو ان الاية تقول: " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ \* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"([[20]](#footnote-20)). فالاية تقول "الخاشعين"، والخاشعون هم من بلغوا الدرجات العالية في مراحل الايمان، فهذا وحده مانع من ان يكون"الظن" مقصودا به هنا ضعيفي الايمان واصحاب الوساوس. بل مقصود به أصحاب اليقين من المؤمنين. ثم إن ضعيفي الإيمان ليسوا ممن يشكّون في الله. بل هم مؤمنون ولكنهم أصحال غفلة وهِمم قاصرة ومساواتهم بأهل الظن والشك هو ظلم لهم وفوق هذا فإنه يدُلّ على قلة فهم.

ثم يتحدث عن كلمات اخرى مثل "قروء" و "احصان" ويأتي بكلام مشابه لما قال في الكلمات السابقة وهو في النهاية كلام هراء لا فائدة منه، ولا ادري لم حشر نفسه في مثل هذه المواضيع!!

ثم بعد هذا يعرج الى "غريب القرآن" وهي مفردات من القرآن والفاظ وتراكيب غريبة لم يعرفها العرب من قبل، او لم يتم استخدامها بالطريقة التي استخدمت بها في القرآن.

وفي هذا يقول: (فقد اخرج ابوعبيدة عن ابراهيم التيمي ان ابابكر الصديق سئل عن قوله تعالى "وفاكهة وابّا" فقال: اي سماء تظلني واي ارض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا اعلم)

ثم يسرد كلمات وجمل كثيرة من غريب القرآن ويقول: (والآن هل هذه الالفاظ الغريبة، عربية كانت او اعجمية، من دلائل الاعجاز في القرآن؟ كيف يصح للقرآن ان يتحداهم بالاتيان بمثله وهو بلغات لا يعرفونها؟ هل هذا اعجاز ام تعجيز؟).

لعل اول ما يتبادر الى ذهني هنا هو سؤالٌ الى الملحدين: انتم تزعمون ان القرآن كتاب بشري من تأليف محمد "عليه أفضل الصلاة والسلام"، ومقتنعون ان في القرآن كلمات كثيرة غير عربية ولم تألفها العرب، فالسؤال هو: اذا كان الامر كما تزعمون فمن أين لمحمد تلك المعرفة بلغات أخرى غير العربية وهو الرجل الأُمّي الذي لم يبرح مكة إلّا بضع مرات؟

ان غريب القرآن هو فعلا من إعجاز القرآن لو كنتم تفهمون.

اما ان تزعم بان القرآن تحداهم بأن ياتوا بمثله رغم ما فيه من لغة لا يفهمونها، فهو قول مردود عليه. أولا لان القرآن فيه سور كاملة ليس فيها من غريب الكلمات شيء. ولم يلزمهم ان ياتوا بسورة فيها من غريب اللغة. فالتحدي كان مفتوحا دون حدود. فلو جاءوا بسورة من مثل تلك السور التي لا تحتوي على الغريب لكفاهم، لكنهم لم يأتوا بشيء. لانهم لن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ثانيا: اذا كان القرآن قد تحداهم بان يأتوا بمثله رغم ما فيه من لغةٍ لا يفهمونها، فإن النبي عليه الصلاة والسلام إنما كان واحدا منهم، فمن أين جاء بهذه اللغة التي لا يفهمونها؟؟!

ثم يأتي بنا الملحد إلى باب آخر أسماه ركاكة القرآن، ويقول: (قال تعالى في بيان فضله على الناس وجحود الناس لهذا الفضل: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \*فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ").

يقول الرجل عن الآية: (ان نقطة الضعف بل والركاكة في الآية السابقة هي سوء استعمال الضمائر إساءة من شأنها إحداث إختلال في السياق، ان سوء استعمال الضمائر اذا صدر عني وعنك نسبونا الى الجهل وإتهمونا بنقص معلوماتنا اللغوية ونصحونا بدراسة علم الصرف والنحو من جديد، واما اذا صدر ذلك عن القرآن فهو من البلاغة).

واقول: ان الرجل أقرّ من قبل بأنّ محمدا هو أفصح العرب، وأقرّ بأن في القرآن آيات من الروائع تأخذ بالالباب من شدّة روعتها وبلاغتها. فهل من أتى بتلك الروائع اللغوية وكان هو أفصح العرب يمكن ان يخطئ اخطاءً فادحة كالأخطاء في الضمائر التي لا يقع فيها إلّا المبتدئون في تعلم اللغة؟ هذا مستحيل عقلا إن كان للملحد عقل.

فهو يقول عن ركاكة الآية: (دونكم الآية السابقة مرة اخرى لتروا موضع الخلل فيها، هذا ما لم تكن قد تنبهتم له من تلقائكم، لانه اختلال صارخ لا يمكن ان يمر عليه السامع من غير ان يحس بنشاز في اذنيه "ختى اذا كنتم في الفلك وجرين "بهم" بدلا من جرين "بكم"، و"فرحتم بها" بدلا من "فرحوا بها"، صدقوا او لا تصدقوا ان هذا النشاز من بلاغة القرآن).

الرجل كعادته يعلو ثم يهوي الى سحيق. فقد صدق في صدر كلامه حينما قال: (قال تعالى في بيان فضله على الناس) ثم هوى الي درك سحيق حينما اضاف قائلا: (وجحود الناس لهذا الفضل)، ولو اعطاه الله قليلا من الفهم لما قال هذا ابداً. ففضل الله على كل الناس معلوم ولا شك فيه. ولكن، هل كل الناس يجحدون هذا الفضل؟ بالطبع لا. المؤمنون لا يجحدون فضل الله. وهنا يكمن سر الضمائر في الآية وسر بلاغة الآية وسر بلاغة كلام الله. لو كان الرجل يعرف اللغة حقا لأدرك بلاغة هذه الآية وانها من اروع الروائع و لا حاجة لاي "لفلفة" لفهم معناها.

تبدأ الآية ب: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ" وهذا فضل الله مبذول لكل الناس، البرَ والفاجر، المؤمن والكافر.

ثم يفرز الله الكفار والمشركين و يوجه الخطاب اليهم دون غيرهم فيقول: " وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"([[21]](#footnote-21)). فلو استمرت الآية على النسق الاول وقالت "جرين بكم" و "فرحتم بها" لأحس كل من يتلوها انه معنّيٌ ومقصود بهذا الكلام، لكن بلاغة القرآن ولطف الله ورحمته بالمؤمنين هي التي تجعل المؤمن حينما يتلو هذه الآية يشعر بأنها تخاطب قوما آخرين. قوما هو ليس واحدا منهم. وهو حقا ليس من المشركين ولا الكفار. فهل هناك بلاغة فوق هذا؟ بل وإن كنت تريد أن ترى اللغة تتدفق إحساسا وحياةً فهي في هذه الآية وأمثالها من آيات الله!

ثم يتكلم عن سؤال الناس للنبي صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ورد القرآن "يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج"

وفي هذ يقول كلاما لو وزعنا سخفه وبلاهته على كل كتب الارض لوسعتها وزادت.

فهو يقول: (فقد سئل النبي عن الاهلة، اي اختلاف اوجه القمر من يوم الى اخر، وبدلا من ان يفسر لهم ذلك على قدر عقولهم – ولو فعل لكان ذلك منه اعجازا حقيقيا – فقد تهرب من الجواب الذي كانوا يتشوقون الى سماعه من الذي خلق الاهلة ليتلقوا منه جوابا مخيبا للامال يعرفه الصغير والكبير)!!!

عجبي من إفتراء هذا الرجل!! لكأنه كان يومذاك يتكئُ على كتف أبي جهل ينتظر رد الرسول!! فهو لم يخبرنا ما هو الجواب الذي كانوا يتشوقون لسماعه!!

هل مثلا كانوا ينتظرون ان يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان الارض كرة تدور حول الشمس وان القمر كرة اخرى تدور حول الارض!!

ترى هل كانوا سيفهمون لو قصّ عليهم النبي حقيقة القمر؟، ثم ماذا كانوا سيستفيدون من معرفة حقيقته؟ أليست الفائدة الحقيقية هي التي ذكرها القرآن؟

ثم يقول: (لقد خلق الله الاهلة للناس ليعلموا بها اوقات زرعهم ومتاجرهم وعدة نسائهم وصيامهم وافطارهم وحجهم الي بيته الحرام كما يقول المفسرون، حسنا، فاذا صحّ ذلك فماذا عسانا يا ترى نفسر اختلاف اوجه القمر – بل الاقمار – في المريخ والمشتري وزحل وغيرها من الكواكب الاخرى؟).

أولا: لم يسأل أحد عن الأهلة في الكواكب الاخري، إنما كان سؤالهم عن القمر الارضي لانهم لم يكونوا يعرفون بوجود أهلة اخرى في الكون. ثانيا حينما نتكلم عن قصة وجود الانسان والايمان والكفر و الموت والبعث و الحساب ثم الجنة او النار، حينما نتكلم عن هذه الحقائق التي خُلِقنَا لنعيشها، فلا فائدة من أن تعرف اي شئ في الحياة سوى ذلك الشئ الذي سينقذك من النار ويدخلك الجنة. فكل علم عدا هذا هو علم ثانوي. فمن زُحزِح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز. وهذا هو ملخص الحياة لو كنتم تعلمون.

يهمنا من الهلال ان نعرف به يوم صومنا وفطرنا ويوم الحج وعدة نسائنا و اعمار ابنائنا ولا يهمنا منه ان كان يدور حول الارض او كانت الارض تدور حوله.

لنفرض انك كنت خبيرا في الكواكب والأهلة وتعرف متى تظهر ومتى تغيب وكيف تدور ولماذا تدور، فهل هذا سينقذك من عذاب الله ان كنت رأيت هلال رمضان ولم تصم الشهر؟

ثم يتكلم عن آية اخرى من الآيات الكريمة: " مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"

فيقول: (استحلفكم بمن تحبون: هل فهمتم شيئا؟ ... ان جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يتلون هذه الآية كل صباح مساء في صلواتهم وعباداتهم ويسمعون بها في اذاعات القرآن الكريم من غير ان يشعر اي منهم باي ضعف فيها او تشويش او نشاز ... فقد تبلّد الحسّ اللغوي فيه –يعني في المؤمن - لقد مات الشعور بالنشاز فيه في ما يتصل بآيات القرآن)

ثم صرخ الرجل كثيرا وعوى اكثر ولم يبيّن ما هي مشكلة هذه الآية. ولم يقل لنا لِمَ غاب عنه معناها!!

وقصة الآية يعرفها كل المسلمين في مشارق الارض ومغاربها. إذ نزلت في الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، حينما إشتدّ عذاب الكفار عليه فقال لهم ما يريدون عن آلهتهم. ثم إشتكى نفسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انه ذكر آلهة قريش بخير حينما لم يتحمل العذاب. فأنزل الله هذه الآية ليخبرنا إن من يبطن الايمان ويُظهِر الكفر لحماية نفسه او عِرضِه او ماله لا ضير عليه وان الذي سيؤخذ هو المُكرِه لا المُكرَه. وهي رخصة وتيسير للناس، خاصة أولئك الذين يعيشون وسط الكفار، فإن الله قد أذِنَ لهم إظهار الكفر حتى لا يصيبهم ضرر. وهي آية من آيات الرحمة بالمؤمنين لن يفهم معناها من جعل الله في عينيه غشاوة و في اذنيه وقر وفي قلبه قساوة. ولو أكمل الرجل باقي الآيات لفهم المدلول: " مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ \* لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"([[22]](#footnote-22))

كما ان في هذه الاية ردا بليغا على الملحدين الذين يرددون على مسامعنا: إن الله يُكْرِه الناس على الاسلام. ونقول لهم: إن الله سبحانه وتعالى كما لا يؤاخذ المؤمن المُكْرَه على إظهار الكفر حماية لنفسه وعرضه وماله فإنه سبحانه وتعالى لا يقبل إيمان الكافر الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر.

ثم يتعرض الرجل للآية الكريمة: " وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ"([[23]](#footnote-23)) وهي جملة قالها موسى عليه السلام لفرعون.

يقول الملحد: (انا لم افهم كيف يكون "التعبيد" اي الاستعباد كما يقول المفسرون نعمة يمُنّ بها فرعون على موسى. واذا اريد لهذه الآية ان يكون لها معنى فلابد من قراءتها على الشكل التالي "وتلك نعمة يمنها الله علي" اي ان اكون من المرسلين نعمة يمُنّها الله عليّ، اما بقية الآية "ان عبدت بني اسرائيل فهي محرفة لا معنى لها، او هي بقية آية منسوخة).

هل كان هذا الرجل معلما للقرآن حقا؟ إن أخشى ما أخشاه ان يكون هناك معلمي قرآن مثله اليوم ونحن لا ندري!!

نعم. فرعون هو الذي إمتنّ على موسى وعلى بني اسرائيل. انه كإمتنان أي طاغية على شعبه.

إن فرعون يرى ان وجود بني اسرائيل في ارضه هو هبة منه لهم. ورغم انه استخدمهم في احطّ الاعمال و سخرهم تسخيرا، الا انه يرى ان له فضلا عليهم باستبقائهم في دولته. وقد إمتنّ على موسى بذلك. اما النبي موسى عليه السلام فلا يرى ما يراه فرعون، بل هو يرى ان قومه مضطهدون، مستعبدون. لهذا واجه فرعون بالحقيقة وقال له ما قال.

هل فعلا غاب معنى هذه الآية عن عقل الملحد؟!! ورغم هذا يدعو الى تقديس العقل فهل هناك أعجب من هذا؟!!

ثم يقول عن الآية: " قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ \* بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُون"([[24]](#footnote-24))

ويتساءل: (ترى هل في هذه الآية الاخيرة ذرة من البلاغة؟)

ثم يقول: (انا لا انكر ان هذه الآية وامثالها من الآيات الالغاز، لابد ان يكون لها معنى، ولكن هذا المعنى لا يزال مخبوءا في بطن صاحبه).

تعالى الله علوا كبيرا.

انه يعترف بان هذه الآيات لابد لها من معاني غابت عنه ثم لا يكف عن الصراخ والعواء. والآية في الحقيقة لا تحتاج الى عناء لتفهم فهي واضحة و مبينة.

ثم يقول انه لا يفهم معنى وجود كلمة "منه" في الآية الكريمة: " وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"([[25]](#footnote-25)).

ورغم ان الآية تقول "ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" فهو لم يجعل نفسه من المتفكرين. بل سارع للنيل من الآية رغم ان كلمة "منه" تقرر امرا مهما. فلو وقفت الآية في جميعا لكان يعني ان الله سخر لنا كل ما في السموات والارض وهذا ما نفاه الآية بكلمة "منه". كما ان هناك تفسيرا آخر إذا قلت ان كلمة "جميعا" مقصود بها السموات والارض، وهنا تكون كلمة "منه" لها معنى "شيء"، أي إن الله سخر لكم "شيئا مما في السموات والارض" وليس كل ما في السموات والارض.

ثم إن هذه واحدة من آيات القرآن التي أحسب إن لها شأنا في المستقبل. فما الذي سخره الله لنا مما في السموات؟ الشمس والقمر مسخرات بأمره. والنجوم لتهتدوا بها؟ هل هذا كل ما سخره الله لنا مما في السموات؟ لا شك عندي في أن هناك أمورا لم تستبن بعد للانسان وهذا مما يؤكد إن علمنا البشري ما زال في طور الحبو مقارنة بما في القرآن!!

اما في آيات سورة الزمر فقد جاء بالعجب العجاب، تقول الآيات الكريمة: " وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ \* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"([[26]](#footnote-26))

يقول: (فهناك عدم توازن بين الآيات التي تصف دخول الذين كفروا الى جهنم ودخول الذين اتقوا الى الجنة، فعندما سيق الذين كفروا الى جهنم ووصلوا اليها فتحت لهم ابوابها، فالوصول ادى الى فتح الابواب، اي جاءت المقدمة وتبعتها النتيجة في الحال. ولكن ذلك لم يحدث ما يوازيه للذين اتقوا ... وبعبارة اكثر تبسيطا نجد ان في آية المتقين "واو العطف" زائدة شوهت المشهد كله حتى ليظن الانسان ان هذه الآية لا جواب لها لدخول حرف العطف، فكيف انزلقت هذه "الواو" الثقيلة هنا؟، يقولون انها زائدة، ولكنها زيادة على حساب اهل الجنة المتلهفين لمعرفة مصيرهم)!!!

أولا، من قال ان هناك اصلا توازنا بين دخول اهل النار للنار وبين دخول اهل الجنة للجنة؟ هل الله قال هذا في القرآن ام ان رسوله صلى الله عليه وسلم قال ذلك؟ كلا، لم يقولا ذلك وانما هي من شطحات الرجل وشيطانه الذي خدعه.

والشئ الثاني الذي ادركناه من القرآن الكريم و احاديث النبي عليه الصلاة والسلام هو ان النار تفتح قبل الجنة. قال تعالى: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا"([[27]](#footnote-27))، هذا يعني ان دخول النار يسبق دخول الجنة فكان ان ظهرت بلاغة حرف العطف "الواو" هنا. بحرف واحد فقط اوضح الله كل ذلك. فهل هناك بلاغة اكثر من هذا؟

ثم بعد هذا يقول ان كلمة "سيق" فيها تسوية بين الكافر والمؤمن وان فيها إهانة للمؤمن لانها كلمة تستخدم للدواب كالحمير والبغال وغيرها ويقول في هذا كلاما مضحكا، وشر البلية ما يضحك وهو: (وكأنما احس المفسرون "الملفلفون" بقبح هذه التسوية وما فيها من هجنة واجحاف بحق المتقين فرقّعوا كلمة "سيق" الاولى باضافة كلمة "بعنف" ورقّعوا الثانية باضافة كلمة "بلطف" فقالوا: "وسيق الذين كفروا بعنف الى جهنم زمرا" و "سيق الذين اتقوا بلطف الى الجنة" ونسوا ان السوق هو السوق سواء كان بعنف او بلطف)!!

لم أرْ رجلا يضيع وقته في هرطقات لا معنى لها كهذا الرجل!! ثم انه كثير الافتراء على اللغة وعلى عقولنا! ليس السوق هو السوق و ليس سواء ان تسوق بلطف وان تسوق بعنف. إنّ من يسوقك بلطف سيوصلك الى الوجهة سليما معافى ضاحكا مستبشرا بينما من يسوقك بعنف سيوصلك محطم اليدين او مهشم الرجلين او مفقوء العينين، غضباناً أسِفا، فكيف يستويان.

هذا ولا مانع لدينا، ان كنا سندخل الجنة، أنْ يسوقنا الملائكة كالبهائم، فان كل عذاب نِلتَه قبل دخول الجنة ستنساه فور الدخول.

ثم يتكلم الرجل عن آيات اخرى يصفها بالركاكة والغموض، ومن بين كلمات الرجل تستشف ضحالة تفكيره وسوء فهمه.

ثم يتكلم عن عدد أيام خلق السموات والارض.

من الثابت في اكثر من آية من آيات القرآن ان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض في ستة ايام. هذا امر ايماني مفروغ منه لدى كل المؤمنين. فاذا جاءت هذه الآيات: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ \* ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"([[28]](#footnote-28))

فهذه الآية ينبغي علينا قراءتها مدركين ان خلق السموات والارض كانت في ستة ايام. بمعنى يجب الا نبحث في عدد ايام خلق السموات والارض هنا لان هذه قضية مفروغ منها باكثر من آية، بل يجب البحث عن مضامين اخرى مثل عدد ايام تقدير اقوات الارض و تقدير امور السموات وهي كلها داخلة في الايام الستة وعلى هذا فان ما يقوله صاحبنا من ان هذه الآية جعلت عدد ايام خلق السموات والارض ثمانية ايام هو في الحقيقة سوء فهم او عدم قدرة على الاستنباط. ورغم هذا فهو يقول: (لقد حار المفسرون في فهم هذه الآيات التي تتوسع في عدد ايام الخلق فتجعلها ثمانية. وفي التوفيق بينها وبين جميع الآيات الاخرى التي تكتفي بستة ايام فقط فقالوا ان الايام الاربعة التي اتم الله فيها خلق الارض يدخل فيها اليومان الاولان اللذان خلق الله فيهما الارض، مخرج لطيف لا بأس به)!!

ونعلم ان المفسرين لم يحتاروا فيها ابدا. لانهم يدركون ان خلق السموات والارض تم في ستة أيام وان هذه مسألة مفروغ منها ولا تحتاج الى اجتهاد.

ثم يتكلم عن الآية التي جاء فيها: "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ"([[29]](#footnote-29))، ويقول: (لا يمكن لاحد ينقب عن الآيات المرتبكة في القرآن ان يمر على الآية الاخيرة بسلام. فلا يعرف المرء هل الرهبانية من ابتداع النصارى ام ان الله كتبها عليهم وامرهم بها؟ والغريب ان القرآن جمع النقيضين واثبت المتعارضين. فكيف يستقيم لها معنى؟ كيف ابتدعوها وكيف كتبها الله عليهم)!!

ان كان من كلام يدل– باوضح ما يكون – على جهل هذا الرجل بالفقه، فهو كلامه هذا.

ألا يعرف الرجل قواعد واصول النُذر في الاسلام؟

والنُذر في لغة بسيطة وسهلة هو ان تلزم نفسك بطاعة معينة لم يلزمك الله بها، وذلك لسبب ما فتصبح تلك الطاعة مُلزِمة لك يسألك الله عنها. والنَذْر موجود وله شروح كثيرة في الفقه. فهل هذا الرجل حقا لم يقرأ عن هذا الباب من ابواب الفقه؟!!

وعلى هذا فإن الآية واضحة كشمس رابعة النهار التي لا يراها الأعمى وان كان يحس بحرارتها. الا الميت فهو الذي لا يشعر بها.

الله سبحانه وتعالى لم يلزم النصارى بالرهبنة. بل هم ألزموا انفسهم بها أمام الله فألزمهم الله بها. كالنذر التي تنذره من تلقاء نفسك امام الله فأنت ملزم بها. فإن قلت: "لأصومنّ لله يوما ان نجحت في الامتحان"، فقد وجب عليك ان نجحت ان تصوم يوما والا أثمت.

ثم يتكلم عن كلمة "مسبوقين" في هذه الآيات: "فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ \* عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ"([[30]](#footnote-30))، ويقول: (لِمَ لمْ يقل "وما نحن بعاجزين" او ليس ذلك اكثر فصاحة وبيانا يا اهل الفصاحة والبيان؟).

الامر لا يحتاج اهل الفصاحة والبيان ليعرفوه.

ليس "عاجزين" بأفصح او أبيْن من "مسبوقين". بل الاخيرة أبلغ وأشمل. ذلك لأني حينما اقول "لست عاجزا عن فعل كذا" انما أعني أنني لست عاجزا عن الأتيان بفعل او عمل عمله قبلي آخرون. أما حينما يقول الله جل شأنه: "وما نحن بمسبوقين" فإننا نفهم إنه، سبحانه تعالى، ليس عاجزا عن الأتيان بفعل او عمل لم يسبقه إليه أحد.

## التناقض سمة بارزة في القرآن

ثم يعرج الى باب آخر اسماه "التناقض سمة بارزة في القرآن" ويبدأ هذا الباب بالآية: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ"([[31]](#footnote-31))

و يقول في غباء لا مثيل له: (المعلوم ان القرآن نزل منجما، اي متفرقا على دفعات وفي آجال مختلفة وليس جملة واحدة. فما معنى نزول القرآن في رمضان إذن؟، لا حل لهذا التناقض الا بالاسطورة، فقد كان القرآن في اللوح المحفوظ ومن اللوح المحفوظ نزل منجما الى السماء الدنيا، وهكذا حلت المشكلة)!!

ما هذا يا هذا؟ هل هو طعن لمجرد الطعن؟

ويقول "نزل من اللوح المحفوظ منجما الى السماء الدنيا" واظنه خطأ في الطباعة او سهو من الكاتب اذ ربما يقصد "نزل من اللوح المحفوظ جملة الى السماء الدنيا" وربما يعني ما جاء في كتابه تماما، اي انه يعني ان القرآن نزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا منجما ثم نزل من السماء الى الارض منجما ايضا!!

في كل حال، سؤاله هنا لا معنى له أصلا. فإن كان القرآن نزل متفرقا الى الارض وهذا هو الثابت بالأدلة الشرعية – وهو ايضا مقتنع بهذا اذ لا مناص له من ذلك – فهل يستحيل ان يقال انه نزل في شهر رمضان؟

لقد إختلف الفقهاء في معنى نزول القرآن في رمضان وان الذي يسميه بالاسطورة هي اجتهادات فقهية مقدّرة، أصاب المجتهدون ام أخطأوا. وما يمكن ان أقوله وقد قاله بعض الفقهاء، هو انه من الممكن ان أول آية نزلت من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في ليلة القدر من شهر رمضان، و بالتالي يجوز ان يقال ان القرآن نزل في رمضان ويكون مقصودا به بداية نزوله ولا حرج في ذلك لغةً وعقلاً. كما انه يجوز ان يقال انه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في رمضان ثم نزل منجما الى الارض حسب الحوادث.

ولا ادري اصلا ماذا يريد الملحد من هذا الكلام؟ أهو يريد بهذا ان يثبت ان القرآن هو كتاب بشري؟ هيهات هيهات. " وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا \* قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا"([[32]](#footnote-32)) صدق الله العظيم.

ثم يتناول آيات اخرى يظن انها دليل تناقض القرآن وهي: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا \* مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا"([[33]](#footnote-33))

ويقول في هذا: (ان الآيات المتناقضة في القرآن تكون في العادة متباعدة متناثرة هنا وهناك تفصل بينها مسافات شاسعة الا في حالات قليلة نادرة كما في الآيتين السالفتين حيث جاءت الآية الثانية معارضة للأولى ولما يتلاش صداها في الاذن، اذ لم تكد الآية الاولى تقرر ان الخير والشر كليهما من الله حتى جاءت الآية الثانية التي تليها مباشرة لتقرر العكس، وهو ان الخير فقط من الله وان الشر من الانسان)!!

إن كنت تفهم آيات القرآن بهذه الطريقة المعوجّة فقد صدقتَ في كفرك بعد هذا العمر الطويل. نسأل الله العافية.

ان الآية الأولى في المنافقين وهي لا تتكلم عن الخير والشر كما فهم الرجل، وانما تتكلم عن القضاء والقدر وان كل شئ حدث كان بأمر الله و كل ما سيحدث، سيحدث بأمر الله. وفيه توبيخ للمنافقين الذين اتهموا الرسول - زورا وإفكا - بان ما يصيبهم من أذى هو من قِبَلِه. فأراد الله ان يلجم ألسنتهم. اما الآية الثانية فهي تتكلم عن افعال الانسان و ان من يزرع القمح سيحصد قمحا وان من يزرع الحسكنيت سيحصد شوكا، وان الحسنة من الله في ان يحفظ لك ما زرعت من خير حتى تبلغ حصاده. وان من تعب و اجتهد واعتنى بزرعه ثم توكل على الله فإن الله لا يضيع عمله، وان من نام عن زرعه متواكلا فلا يلومنّ الا عجزه وكسله.

ثم يأتي بالآيات: "سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ \* قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"([[34]](#footnote-34))

يقول الرجل: (فهل قولهم "لو شاء الله ما اشركنا"، "ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء" ظن؟ بل تخرّص؟، ان كلامهم حق وسليم وموزون)!!!

عجباً يا سادتي!! الرجل يقول ان كلام المشركين حق وسليم وموزون!! إنهم قالوا "لو شاء الله ما اشركنا"، اي إنهم يؤمنون بقدرة الله على ان يهدي ويضل حتى ولو كان فهمهم ناقصا. والرجل يوافقهم الى ما ذهبوا إليه ويقول ان كلامهم حق. بمعنى انه أيضا مثل مشركي قريش يؤمن بان الهدى والضلال من الله.

فإن كان الامر كذلك وكنتم تؤمنون بقدرة الله فلم تتمسكون بشرككم؟ لو كنتم صادقين في ايمانكم بقدرة الله لآمنتم برسوله، لكنكم تخرصون. وهذا الكاتب هو مثلكم بل هو شرّ منكم. فهو ملحد لا يؤمن بالله ولا بأي إله ويذهب بنا في متاهاته العقلية ليقول إن مشركي قريش معهم حق. فهل آمن الرجل باللات والعُزى دون أن يبيّن لنا ذلك؟

أما قوله تعالى: "لو شاء لهداكم اجمعين" فلا تعني "لو اراد" فإن الله لا يريد الشر للناس. وانما تعني ان كنتم تستحقون الهداية لهداكم ولكن الله يعلم ما في قلوبكم من الكفر، والله يقول: " وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ"([[35]](#footnote-35)) ولهذا قال سبحانه وتعالى وقوله الحق: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ"([[36]](#footnote-36))

ثم يتكلم عن الآيات التي يراها متناقضة بشأن اليهود وهي: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ"([[37]](#footnote-37))

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"([[38]](#footnote-38))

" قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"([[39]](#footnote-39))

وغيرها من الآيات ليدلل بها على تناقض القرآن بشأن اليهود. أي انه يزعم ان القرآن يصفهم مرة بشعب الله المختار ويصفهم مرة اخرى بأنهم أناس كسائر البشر.

ولا أرى أي تناقض في هذا؟

ما المانع ان يكون اليهود شعب الله المختار في حقبة تاريخية معينة، أي حينما كانوا في معيّة النبي موسى عليه السلام. ثم بعد ذلك سارعوا الى الكفر و قتلوا الانبياء وارتكبوا كل الفواحش، ما ظهر منها وما بطن فغضب الله عليهم ولعنهم؟ هل هناك ما يمنع هذا؟

ثم يتكلم عن الخلود و يقسمه الى انواع ثلاثة: خلود مطلق الى غير نهاية، و خلود مقيد بدوام السموات والأرض، وخلود مقيد بمشيئة الله. ويقول:

(في الخلود المطلق قال: "قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُا"، لكن اعجب انواع الخلود هو الخلود المقيّد بدوام السموات والارض حيث لا سموات ولا ارض فقد طويتا بحلول يوم القيامة وذهبتا الى غير رجعة "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب"، يليه الخلود المقيد بمشيئة الله وبهذه المشيئة لم يقيد الله نفسه بشيء و اكاد اقول انه نسف فكرة الخلود من اساسها ونفض يده منها: " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ.).

يظن الرجل ان السموات والارض قد طويتا بلا رجعة وانه لا توجد في الآخرة سموات ولا ارض!! هل بعد هذا القول يحتاج احد الى دليل في ان هذا الملحد ما هو الا سيد من سادات الجهل؟

لا اريد ان اكتب في هذا فهو معلوم للجميع. حتى الاطفال يعرفون ان طي السماء كطي السجل للكتب مقصود به سماوات الدنيا و ان الله يعيد السموات والارض من جديد لكن بقوانين فيزيائية مختلفة. بقوانين طبيعة الآخرة وهي قوانين الدوام والاستقرار والابدية. وبالتالي فان الله سبحانه وتعالى حينما يقول: "خالدين فيها ما دامت السموات والارض" فان هذا يعني "خالدين فيها ابدا" لأن سموات الحياة الأخرى وارضها لن تزولا أبدا. و اما قوله سبحانه وتعالى: "الا ما شاء الله ان ربك فعال لما يريد" فان الله سبحانه وتعالى كامل الصفات وليس من صفته الكذب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فهو سبحانه حينما يَعِد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بان لهم الجنة "خالدين فيها ابدا" فذاك هو ما يعنيه تماما. وانه وان كانت له المشيئة اولا واخيرا وان كان فعالا لما يريد الا انه لن يفعل الا ما وعد به المؤمنين وما ألزم هو – سبحانه – نفسه به. فإنه سبحانه وتعالى يقول: "لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ \* مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ \* يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ \* وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ"([[40]](#footnote-40))

و عن الآية: " إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"([[41]](#footnote-41))

يقول: (هل هذا صحيح؟ بل هل هذا معقول؟ ما هذا التعميم الغريب؟ ما هذا الحكم المطلق الذي لا يبرره منطق ولا تاريخ؟ ما حكم اولئك الذين آمنوا بآيات الله بعد ان لم يكونوا مؤمنين؟ من هداهم؟ الشيطان؟ هل خرجوا من بطون امهاتهم مؤمنين؟ اولا تتعارض هذه الاية مع ايات كثيرة اخرى لا تحصى يمُن الله فيها على المؤمنين ان هداهم للايمان)!

ما هذا؟ كيف فهم الرجل هذه الآية؟

لماذا لم يفهم الآية على وجه آخر؟ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله وماتوا على ذلك لا يهديهم الله يوم القيامة الى الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة. والنتيجة انهم في النار والعذاب الاليم. فهؤلاء هم الذين يموتون على الكفر وليس المقصود بهم الأحياء الذين يمكن ان يهتدوا ويؤمنوا.

ثم يتكلم بكلام لا معنى له عن الآيات التي تقول: " وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا"([[42]](#footnote-42)) و يحسبه تناقضا مع قوله تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"([[43]](#footnote-43)) و يقول في هذا:

(ليت شعري اين ما تنسب اليهم الآية من العمى والبكم والصم؟ انهم احدّ بصرا مني ومنك واطلق لسانا واشدّ سمعا. انهم رغم ما هم فيه من عذاب جهنم واهوال الجحيم قادرون على رؤية اهل الجنة وما هم فيه من النعيم، والطلب اليهم بلسان عربي مبين ان يفيضوا عليهم من الماء او مما رزقهم الله. "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ" .... الى غير ذلك من الآيات التي تدل على اننا لسنا بابصر او انطق او اسمع منهم، لقد رأيتم انهم باعتراف القرآن يظلون في جهنم بكامل حسهم ووعيهم ولم يفقدوا منها شيئا. فاين دعوى العمى والبكم والصوم يا قوم)!!

حسنا، انه هنا لم يتسع فهمه ليعرف الفرق الشاسع بين الآية الاولى التي تتكلم عن لحظة الحشر وهي الوقت من لحظة البعث الى الفراغ من الحساب. هذا هو الوقت الذي يحشر فيه المجرمون عميا وبكما وصما. ثم بعد ذلك يدخلون جهنم وهذا وقت آخر غير وقت الحشر. حينما تغَلّق الابواب، ابواب الجنة على اهلها وابواب النار على اهلها. هذا هو الوقت، يكون فيه الكافر يرى ويسمع ما لا يسرّه ابداً ويتكلم فلا يُسمَع له ابداً.

ثم يقول: (صدق او لا تصدق، لقد اخرج الله بني اسرائيل مصر واورثهم مصر وخيرات مصر و كنوز مصر: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ \* فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ .. فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ". لا تعليق. فاللا تعليق هنا ابلغ من التعليق. فقد اخرجهم الله من مصر فكيف اورثهم مصر)

ويقول "اللاتعليق ابلغ"!!

فما شأنك بالبلاغة وانت لا تفهم حتى المعاني المباشرة التي يفهمها عامة الناس دعك من اهل البلاغة والبيان الذين ما فتئت تنادي فيهم ليشهدوا خزيك وعارك.

هذه الآية انما تتكلم عن فرعون وكفره هو وقومه. فكيف إنحرف فهمك الى ان عقاب الخروج من الجنات والمقام الكريم كان لبني اسرائيل وهم المؤمنون يومذاك؟!!

لقد أخرج الله فرعون وقومه من مقامهم وقصورهم وحدائقهم و أغرقهم في البحر. ولم تكن لليهود يومها حدائق ومقام كريم في مصر، بل كانوا مستعَبَدين، مضطَهَدين. وهذه القصة معروفة لدى كل الناس. اما سؤالك عن كيف اخرج الله بني اسرائيل من مصر واورثهم مصر فهو سؤال غبي ينمُّ عن فهم كسيح لمعنى الآية. من قال لك ان الآية تعني ان الله اورث مصر لبني اسرائيل؟ ان كل آيات الكتاب المبين تؤكد ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل من مصر. وفي التفاسير انه خرج بهم جهة فلسطين. وهناك اورثهم الله ارض فلسطين بما فيها من مزارع و بساتين وغيرها. أي ان التوريث مقصود به الجنات والعيون والمقام الكريم وليس مصر. لكأن الجنات والعيون والمقام الكريم لا توجد الا في مصر!!

ويقول ان الآية الكريمة: " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"([[44]](#footnote-44)) تعارض الآية الكريمة: " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا"([[45]](#footnote-45))

ويقول: (فالامة والقرية والمدينة لها معنى واحد تقريبا في القرآن). فأقول له كذبت، فإن كلمة "أمة" لها معان متعددة في القرآن، منها جمع من الناس ومنها جمع من القرى. والمراد في الآية الثانية ان لو شاء الله لأرسل في كل قرية من القرى رسولا بدلا من ان يرسل لهم مجتمعين رسولا واحدا. ثم مما يفهم من الآية: ان الله لو اراد ان يرسل في كل قرية من قرى العرب رسولا لما اعجزه ذلك. لكنه ارسل في قريش وهم ام القرى.

ثم يتكلم عن يونس عليه السلام وقصة نبذه من بطن الحوت فيقول: (هل قذفه الله بالعراء "بالساحل" ام لم يقذفه؟ للقرآن في هذه المسألة قولان متعارضان، احدهما يثبت والآخر ينفي)

ويأتي بهذه الآيات: " فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"([[46]](#footnote-46))

ثم يأتي بهذه الآية: " لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ"([[47]](#footnote-47))

ويظن ان الآية الثانية تنفي النبذ بالعراء!!

لعمري ان هذا لهو اثارة المعارك في غير معترك!!

الآية الثانية كما تعلمون يا سادتي تنفي النبذ مع الذم. وصدق الله فإنه لم ينبذ نبيه مذموما، لكنه تداركه بنعمته فنبذه مغفورا له مع الاجتباء فأعاده الى قومه رسولا فآمنوا به اجمعين.

وبعد تلك الهرطقة يسوقنا الى هرطقة اخرى من هرطقاته التي لا تنتهي فيتعرض لهذه الآية عن سيدنا موسى عليه السلام: " قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \*... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ"([[48]](#footnote-48))

و يسأل: (هل استجاب الله له دعاءه حقا ام ان الامر فيه ما فيه؟ الظاهر انه سبحانه قد فعل قبل ان يفرغ موسى من دعائه، اذ قال له في الحال وبلا اي تاخير: "قد أوتيت سؤلك يا موسى" ... لكن هذه الآية تعارضها آية اخرى تفيد ان موسى رغم استجابة طلبه قد ظل يعاني صعوبة في النطق تمنعه من الإبانة والدليل ان فرعون كان يجد عسرا في فهم اقواله، "ام انا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يبين" ... فهل أوتي موسى سؤله حقا ام لم يؤته؟)!!

سؤال لا معنى له ايضا ككل اسئلته.

لا شك ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب لموسى عليه السلام واعطاه كل ما سأل، ولو كان الرجل منصفا كالعلماء لكان سؤاله هو "باي طريقة استجاب الله لدعاء نبيه". ولو سأل السؤال بالطريقة الصحيحة لوجد اجابتها دون عناء ولما احتاج منه الامر كل هذا الهياج والصراخ.

ظن الملحد ان الله سبحانه وتعالى يجب عليه ان يطلق لسان موسى و يجعله ينطلق في الكلام بينما اراد الله ان يستجيب بطريقة اخرى. وهي الطريقة التى سألها موسى بنفسه منذ البدء " وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" وهذه هي باقي طلبات موسى التي اخفاها الملحد ليلعب بعقولنا. فاستجاب الله لنبيه في الحال وجعل معه هارون عليه السلام لانه كان فصيحا طليق اللسان. وهكذا حلت مشكلة عقدة اللسان. ولعل طلب موسى اوضح ما يكون في الاية الكريمة: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ"([[49]](#footnote-49)) لكن عميت عنها عينا الملحد.

واخيرا يأتي الرجل الى ما أسماه بالتناقض الاكبر ويقول في هذا قولا مضحكا: (ولا يمكنني ان اختم حديثي عن تناقضات القرآن من غير ان آتي على تناقض لعل افضل تسمية له هي "التناقض الاكبر" او "سيد التناقضات" بل "تناقض التناقضات" والغريب ان القرآن يتخذ من هذا التناقض شاهدا وحجة على قدرة الله تعالى قدرة مطلقة. فعلى حين يقول: " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"، " فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"، هذه الايات فيها تناقضان، عادي كثير الوقوع، وتناقض اخر اسميناه "تناقض التناقضات"، فأما التناقض العادي فهو ان هذه الايات قد جاءت في معرض الحديث عن الاولين وكيف انزل الله العذاب بالمخالفين منهم. فاذا كانت سنة الله في الاولين الانتقام منهم في الحال، او على الاقل، انزال العذاب بهم في الحياة الدنيا، فلِمَ لمْ يحدث ذلك الا في الماضي الذي لا يمكن التحقق منه، بينما المخالفون الذين جاءوا من بعدهم، اي الذين عاشوا تحت اضواء التاريخ، و على الخصوص في هذه الايام، يعيشون بمنأى من العذاب، بل يرفلون هانئين في ابهى حلل السعادة والنعيم؟، فاذا كان الله في القرآن يعني ما يقول فلِمَ اوقف العمل بهذه السُنّة في العصور التاريخية مكتفيا بالوعيد اللفظي الذي لا يعني شيئا على الارض؟ .... قد يقال: الا ترى ما ينزل بالمخالفين اليوم من امراض مستعصية وازمات خانقة ومصائب لا قبل لهم بها؟ نعم انا ارى ذلك ولكنه لا ينزل بجميع المخالفين، بل بقلة منهم، ليست شيئا مذكورا في جمهور المخالفين الاخرين، ثانيا ان ما ينزل بالمخالفين لتعاليم الله لا ينزل بهم وحدهم بل ينزل بلا تفرقة بين من يطيع الله ورسوله ومن يخالف امرهما، واذا فلا شأن لرضىَ الله وسخطه فيما ينزل سواء بالمخالفين او المطيعين الملتزمين باوامره ونواهيه)!!

انتهى الرجل مما يسميه التناقض العادي!!

اولا قوله ان الانتقام الرباني كان في الماضي الذي لا يمكن التحقق منه، هو قول مردود عليه بان التحقق من ذلك اصبح متاحا بفضل علوم التاريخ و الاثار. وقد اكتشفت قرية كاملة مدفونة تحت الرماد قد اخذهم العذاب ضُحىً وهم يلعبون، تماما كما جاء في القرآن الكريم. فقد وجدت اجساد الناس المجمدة بفعل الرماد والناس اما يجلسون حول المائدة او يسيرون في الشوارع بل وبعضهم يمارسون الفواحش. كل هذا تم اثباته وتصويره ونشره.

ثانيا كم نفسا اهلكها الله في عصرنا الحالي في تسونامي؟ كم نفسا يهلكها الله في الزلازل و الكوارث الطبيعية؟ وكم نفسا اهلكها الله في الحرب العالمية الاولى والثانية والحروب التي تلت ذلك؟ وكم نفسا تهلكها الامراض والاوبئة؟

لا شك ان إنتقام الله من المستكبرين مستمر ولم يتبدل شيء كما يتوهم الرجل.

اما زعمه ان الله يهدد فقط بالالفاظ هو ايضا مردود عليه بما سقناه آنفا من استمرار انتقام الله من الظالمين. واذ ظن الرجل ان الله لم ينتقم من مشركي قريش الا بالكلام فنقول له: أسأل بدرا والقليب، فكم من طاغية مستبد أخذهم الله في سويعات!!

اما قوله ان انتقام الله لا يفرق بين المؤمنين و الكفار فنقول له: ان الله ينجي من يشاء و يهلك من يشاء. إنما يموتون جميعا ويبعث كل على نيته. و المؤمن لا يضيره شيء ان مات مع الكفار في قارعة حلت بهم طالما انه سيبعث مؤمنا وسيدخل الجنة. وفوق هذا فان المؤمن ليس بخالدٍ على الارض ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

ثم بعد هذا يتكلم عما اسماه ب"تناقض التناقضات" و يقول ان قصة عدم إحتراق سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما ألقاه المشركون في النار، وقصة إحياء سيدنا عيسى عليه السلام للموتى، هما مخالفتان لسنّة الله في ان كل ما ألقي في النار يجب ان يحترق و إن كل من مات لا يبعث في الدنيا، ويقول ان الله قال: "ولن تجد لسنة الله تبديلا" و رغم ذلك جرى ما جرى مع ابراهيم وعيسى عليهما السلام!!

هل هذا هو ما اسماه "التناقض الكبير" و "تناقض التناقضات" في القرآن الكريم؟!!

صدق من قال: "تمخض الجبل فولد فأرا".

ترى لماذا اختار هاتين المعجزتين دون غيرهما من المعجزات الكثيرة؟ لماذا لم يتكلم عن المائدة التي نزلت من السماء و عن المنّ والسلوى وعن بقرة بني اسرائيل وغيرها؟

إن افتراءات الرجل على آيات الله لا تنتهي!!

ان كان هناك تناقض يراه العقل حقا فهو مناهضة الرجل لنفسه و كيف انه يهدّ بيديه بنيانه الذي بناه.

هو الذي يتحسر على خلو الاسلام من المعجزات ههنا يستنكر المعجزات التي حدثت مع الأنبياء السابقين. ماذا أقول لكم؟ فقد والله بيّن الرجل بكتابه هذا حمق وجهل وغباء الملحدين!!

ولست مفتئتاً عليهم بكلامي هذا. فقد بلغنا إنهم – أي الملحدين – عدّوا هذا الكتاب زينة كتبهم. بل وأتخذوه ديناً لهم يهديهم الى ظلمات بعضها فوق بعض إن شاء الله.

## القرآن والعلم

ثم جاء الرجل الى باب آخر من أبواب الهرطقة اسماه "القرآن والعلم" فلندخل من هذا الباب لنرى ما يقول:

في البدء يقول: (فصورة الكون في القرآن هي صورة من علم الفلك الاسطوري القديم كانت شائعة في عصور احتضار العلم اليوناني والفلسفة الاغريقية ممتزجة باطياف شرقية واخيلة دينية زاهية. فالارض هي مركز العالم وقاعدته الثابتة تعلوها سبع سموات طبقات بعضها فوق بعض محمولة على اعمدة لا تراها العين. وليس لدى القرآن على ما يبدو اي فكرة عن عالم لا نهائي ملئ بالمجرات والسدم والثقوب السوداء والغبار الكوني. فعالم القرآن عالم مقفل موحش محدود تضيئه الشمس في النهار والقمر والكواكب والنجوم – المصابيح المعلقة التي تزين السماء الدنيا – بالليل.)

انت فهمت عالم القرآن هكذا!! حيث الارض هي مركز العالم!! أنا لم نفهم عالم القرآن كما فهمته انت. وسأوضح ما فهمته عن الكون من آيات القرآن الكريم.

الكون في القرآن مفتوح بأكثر مما يتخيل عقل الملحد الضيق وباكثر مما وصل اليه علم الانسان اليوم.

اذا كان الانسان يسأل ويبحث عن الحياة في الكواكب الاخرى القريبة منها والبعيدة، فإن القرآن قال بوجود الحياة في أبعد من كل كوكب يمكن ان نتخيل او لا نتخيل وجوده!! لقد قال القرآن بوجود حياة في السموات نفسها وهذا أبعد كثيرا مما وصل إليه علم البشر الآن.

ثم تكلم عن خلق الانسان من طين والجان من نار والملائكة من نور ولم يوضح ما هي مشكلته او مشكلة العلم في هذه المسألة. ربما لم يجد ما يقوله في هذا الشأن. لكنني اضيف واقول له ان خلق الانسان من طين ثابت بالعلم ذلك ان الانسان حينما يموت يتحلل و يصبح ترابا، اي يعود الى اصله. وكذا كل حيّ خُلِق من تراب يعود ترابا.

ومعرفة ان الانسان اصله تراب يجعلنا نصدق ان الجان من نار ولا مشكلة هنا.

ثم يرمينا بهراءً آخر ويقول: (ويظهر انه يعقد من وقت لاخر مجلس إلهي في موضع ما على احد تخوم الارض، لعله فلك القمر، يحضره سيدنا جبريل عليه السلام وعلى الخصوص سيدنا عزرائيل وبعض الملائكة المختصين بشؤون العالم الاسفل للتدوال في احوال الناس وارزاقهم وعباداتهم ومدى التزانهم بامور دينهم، ومن سيخلق هذا العام ومن سيموت ومن سيدخل الجنة و من حق عليه العذاب. ويظهر ان الرقابة لم تكن مشددة في هذه المجالس. فكان من الممكن الافلات من الحرس وحضور الجلسات. فيتسلل الشياطين الى هذه الاجتماعات لمعرفة ما يجري فيها وابلاغ اهل الارض بذلك. ويبدو انهم يستطيعون سرقة بعض الاخبار وهذا ما يسميه القرآن "الخطفة")!!

هذا ما فهمه الرجل من الآيات التي تقول: " نَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ \* وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ \* لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ \* دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ \* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ"([[50]](#footnote-50))

والآيات: " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ \* وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ \* إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ"([[51]](#footnote-51))

ويقول: (فليس في هاتين الآيتين اي فكرة عن الشهب بمعناها العلمي، انها شواظ من نار يراد به دحر الشياطين ورجمهم ومطاردتهم لا احراقهم، لان الشياطين لا يتاثرون بالنار، اذ هم من نار)!!!

يحار المرء حقا في وصف عقل هذا الملحد!!!

لقد حبك قصة من خياله عن مجالس تعقد في السماء و عن شياطين يحضرون هذه المجالس خلسة و عن وعن ... قصة لم ينزل الله بها من سلطان وذلك فهمه للملأ الاعلى وحقا ان كان اللاتعليق ابلغ من التعليق يوما فهو هنا!!

ولم يوضح لنا ما هو المانع العلمي في ان يكون للسماء حرس. اما قوله عن المعنى العلمي للشهب فأرى ان الرجل خانه عقله هنا و لم يكن من الصواب ان يحشر نفسه فيما لا علم له به. فالشهب في أدقّ معناها العلمي هي "شواظ من نار" كما قال القرآن.

اما قوله، ان النار لا تحرق الشياطين لأنها مخلوقة من نار، فلو كان الرجل جادا في زعمه هذا فليقف بشجاعة امام حجر من صلصال لنرى ان كان لا يقتله وهو المخلوق من الصلصال.

ثم يعرج الى فعل قوم لوط عليه السلام ويقول: (ان الشذوذ الجنسي صورة من صور الاشباع الجنسي القديم قدم الانسان) وهو يعني ان الآية الكريمة التي تقول: " وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ" غير صحيحة. و اسأله من اين عرف هو ان هذه الفاحشة ارتكبها انسان ما قبل لوط؟

الرجل هنا يفتري على التاريخ و على علم التاريخ وعلى عقولنا و يقرر هكذا بدون اي دليل ان هذه الفاحشة قديم قدم الانسان!!

ما معنى قدم الانسان؟ ان هو الا هراء لا معنى له. واذا كنا جميعا نعلم ان اللواط هو شذوذ، فما معنى كلمة شذوذ في اللغة؟ انها في ابسط معانيها ضد ما هو شائع ومعروف. فلو كان اللواط قديما قدم الانسان ولو كان فعلا شائعا لما أسميناه شذوذا. هذا بالمنطق والعقل الذي يريد الملحد ان يغيّبهما جهلاً او لغرض في نفسه.

ثم يقول ان هناك خطأ علمي وقع فيه القرآن في الآية الكريمة: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"([[52]](#footnote-52))

وفي هذا يقول: (في هذه الآية مغالطة كبيرة مغطاة بغلالة رقيقة جدا لا تراها العين الباصرة الا بصعوبة بالغة جدا، هذا اذا تمكنت من رؤيتها حقا، وهي التوحيد البدائي الساذج بين الموت المجازي والموت الحقيقي .... فالارض الهامدة ميتة لكن بمعنى مجازي واما موت الانسان عندما يتوقف قلبه ودماغه فهو موت حقيقي ... ترى كيف يشبّه الله في القرآن هذا بذاك ويصدر عليهما حكما واحدا؟)

قبل كل شيء: كيف تكون المغالطة كبيرة ولا تراها العين الباصرة؟! فلو كانت المغالطة كبيرة حقا لما حجبها عن العين الباصرة غلالة من الصوف والوبر دعك من غلالة رقيقة، وانما الحقيقة، لا توجد مغالطة الا في خيال الملحد.

ان الله لم يجعل الموت المجازي والموت الحقيقي شيئا واحدا كما يقول الأفّاك. بل هو مجرد تشبيه لتقريب صورة البعث للعقل البشري. وهو تشبيه معروف مثله في اللغة العربية ولا يحتم هذا التشبيه التماثل الكامل بين المشَبّه والمشبّه به. من الذي يغالط الآن؟ الآية الكريمة أم الأفّاك الأثيم الذي لم يلحظ ان هذه الآية الكريمة بالذات بدأت ب: "إنك ترى الارض خاشعة" ولم تقل "انك ترى الارض ميتة". فلو كان في الرجل بقية من عقل – بعد ان ذهب الغضب بجل عقله لأن المولى عز وجل لم ينزّل عليه نقودا من السماء ليسدد ديونه – اقول: لو كان فيه بقية من عقل لجاء بآية تنص صراحة على كلمة "ميتة" وهي موجودة بين دفتي المصحف ولكنه عُمِيَ عنها وجاء بالآية التي تنص على ان موت الارض مجازي. "ترى الارض خاشعة" والخشوع لا يعني الموت. اذا يا سادتي ان القرآن نفسه نص في هذه الآية على ان الارض خاشعة وليست ميتة كما ان هناك آية تقول: " وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"([[53]](#footnote-53)) والهمود ايضا غير الموت. وهذا يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يساوي بين الموتتين وانما هو مجرد تشبيه لغوي بلاغي لا علاقة له بالفكرة الحقيقية اوالعلمية للموت. هذا ونعلم جميعا إننا في الكلام الشائع نطلق على الارض البور احيانا اسم الارض الميتة، فالتشبيه هنا ليس ابتداعا.

ثم يقول ساخرا: (طوبى لك ايتها الارض، يا قرار العالم ومركزه وقاعدته. ان هموم الله كلها محصورة فيك، وحسابات الكون ومواقيت الزمان مبنية عليك!! فلا زمان الا زمانك. ولا مكان الا مكانك. ولا قرار الا قرارك. فالشهور شهورك والاعوام اعوامك .....)

ما كل هذا العويل؟؟؟

لأن الرجل لم يعجبه قول الله سبحانه وتعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ"([[54]](#footnote-54))

في الحقيقة هو كعادته منذ ان دخل في هذا الباب الذي اسماه "القرآن والعلم" لم يستطع ان يبيّن لنا بطريقة علمية واحدة اي اختلاف بين أي آية قرآنية وبين شيء من العلوم. رغم ان العلوم نفسها غير منتهية و نظرياتها غير مسلّم بها. وهو لم يبيّن لنا ما هو الخلاف بين هذه الآية وبين العلم.

ان عدة الشهور اثنا عشر شهر في القرآن وفي العلم ولا خلاف بينهما.

لكن، استطيع من خلال مجادلاتي مع الملاحدة ان افهم ان الرجل ربما يريد ان يقول: ان عدة الشهور في كواكب كثيرة ليست اثنا عشر شهرا وان القرآن أخطأ في هذه المسألة حينما عمم الامر على كل الكون. هكذا يقول بعض الملحدين. واقول لهم ان هذه الآية لم تتطرق ابدا للشهور في كل الكون وانما تكلم عن شهور الارض فقط و حتى في الشهور الارضية نفسها تطرق للشهور القمرية فحسب.

و القرآن تكلم في مكان آخر عن ان الشمس ايضا تحسب بها الشهور: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"([[55]](#footnote-55)).

هذا ويبيّن القرآن صراحة وجود ايام وشهور وسنين اخرى في الكون، اذ يقول الله تعالى: "وَإِنَّ يَوْمَاً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ"([[56]](#footnote-56)) ويقول في آية أخرى: "تَعْرُج الْمَلَائِكَةُ وَالرُّحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"([[57]](#footnote-57)). اذاً لا مجال هنا للصراخ والعويل والقول بان الارض هي مركز العالم. فالآية الاخيرة تدل على ان الارض لا يساوي كثيرا في الكون الواسع.

ثم يقرأ الرجل هذه الآية: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"([[58]](#footnote-58))

ويقول: (اتى علي عهد كنت اظن – انا وكثيرون غيري – ان السماء هي سقف العالم الارضي وفوق هذا السقف ستة اسقف اخرى طبقات بعضها فوق بعض ... لقد كان هذا التصور الاسطوري للسماء احدى المسلمات الدينية التي يوحي بها القرآن والاحاديث واقوال السلف. وبعد اطلاعي على علم الفلك الحديث في مجلة "المقتطف" اولا وبعض الكتب النادرة في هذا العالم المنتشرة في بعض المكتبات انذاك، لم اجد اي أثر للتصور الطبقي للسماء وكذلك فعل كثيرون غيري. وهكذا انحسرت الاسطورة السابقة واختفت من الدوائر العلمية. الا الدوائر الدينية من اسلامية ومسيحية وغيرهما)

ان هذا الرجل غير موفق دائما!!!

فهو لم يكن موفقا في حياته الخاصة وحاصرته الديون من كل مكان.

ولم يكن موفقا حين اجتهد الليالي الطويلة يدعو الله ان يسدد عنه ديونه فلم يستجب له.

وهو غير موفق هنا في اختيار الآيات كما رأينا سابقا.

وهنا ايضا اعماه الله فترك آية واضحة وصريحة تبين ان السماء سقف " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ"([[59]](#footnote-59)) و يختار آية لم تتكلم عن السقف مباشرة "رفع السموات بغير عمد ترونها"

ثم يفتري علينا فرية من خياله ليقول ان العلم اثبت ان السموات ليست سقفا. لا بل هو يريد ان يقول: لا توجد سموات اصلا.

العلم الذي قرأه في مجلة واحدة، وفي بعض الكتب النادرة "المنتشرة في العالم"، كيف تكون نادرة ومنتشرة في العالم في نفس الوقت؟!!

اذا كان الفلكيون لم يستطيعوا ان يذهبوا لابعد من القمر. ولم يستطيعوا ان يصلوا لاقرب الكواكب الى الارض حتى اليوم فكيف لهم ان يعرفوا ما يجري بعيدا في هذا الكون؟

الكون واسع جدا. وكل يوم يكتشف العلم أنجما وكواكب بعيدة و لا اشك في ان كل هذا الذي علمناه لا يساوي نقطة في الكون الواسع. فاذا كانت السموات محيطة بكل هذا، فهذا يعني ان العلم البشري لن يستطيع ان يتكلم عن السماء في الاجل القريب. هذا اذا استطاع اصلا. وصدق الله العظيم الذي يقول: " وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، و ستبقى هذه الآية هكذا تقرأ الى ان يرفع الله المصحف من دنس الملحدين في آخر الزمان. فعن اي علم تتكلمون يا اجهل الناس.

ومن الاشياء التي يعجب لها الملحدون عامة ذلك المخلوق المسمى ب"البراق". فهم يرون انه مخلوق اسطوري.

هل وجود مخلوق كالبراق اسطوري اكثر من قلب الانسان الذي ينبض مائة سنة دون ان يتوقف لحظة؟!

إن الذي خلق الانسان وكل هذا الكون الرائع أيعجزه ان يخلق البراق وغير البراق؟؟

اما قصة المعراج وما ادراك ما المعراج. فإن الملاحدة يجعلونها سببا رئيسيا لكفرهم لأنها حسب زعمهم قصة لا تتوافق مع العقل!! وكما قلت سابقا في قصة الاسراء وعقل ابوجهل يومذاك أقول هنا: دعوا الامور التي لا تفهمونها حتى يأتي القوم الذين سيفكون طلاسمها. لو فكر ابوجهل في ذاك اليوم عن الاسراء كما فكر فيه ابوبكر الصديق لما كان من الهالكين. لكنه اراد ان يفهم كل القرآن ونسي ان القرآن فيه شيء لكل زمان. شيء لنا و شيء لمن سيأتون بعدنا. لأنه كتاب الله الاخير الى اهل الارض حتى يوم القيامة. وليس من المعقول ان يكون كتابا جامدا كالرياضيات. اذ لابد ان يكون لكل سكان عصر من العصور في القرآن اجابة لاحتياجاتهم. وليس من الضروري ان يفهم كل سكان عصر واحد كل ما ورد في القرآن.

اقول هذا رغم ان قصة المعراج لم ترد في القرآن، بل حتى الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سأله ابوجهل عن الجديد في يومه ذاك لم يأت بذكر المعراج وانما قال: "أُسرِيَ بي الليلة". و رغم هذا فإنني أؤمن بان الله قادر على ان يعرج برسوله الى السماء. الله الذي خلق الكون قادر على ان يفعل ما يريد ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الارض.

اما الكلام الكثير الذي ساقه هذا الملحد عن تصور القرآن للسماء وانها طبقات وانها مبنية و انها تنزع كجلد الشاة "واذا السماء كشطت" و انها زينت بمصابيح وغير ذلك مستغربا منها و ظنا منه ان كل ذلك يخالف العلم، فأقول له ان العلم الى يومنا هذا لا يعرف شيئا عن السماء وليست هناك اي نظرية علمية تتكلم عن السماء حتى تكون مطابقة او مخالفة لما ورد في القرآن. بل القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يتكلم عن السماء. وعليه فإن كل كلام الرجل وكلام الملاحدة في هذا الشأن هو هراء يريدون به جدالا. وقوله عن الصورة الحديثة التي تقدمها لنا المراصد الفلكية عن السماء فهو قول لا معنى له لأن المراصد الفلكية لم تقدم لنا شيئا عن السماء. بل وحتى ما قدمته لنا المراصد الفلكية عن الفضاء، وهو غير السماء - اذ يخلط الملحدون بين الفضاء والسماء كالاطفال – اقول: ان كل ما قدمته المراصد الفلكية،التي يظنها الملحدون حديثة، لا تساوي شيئا يذكر عن حقيقة الكون. وكما قلت سابقا، اذا كان الانسان يعجز حتى اليوم عن معرفة اقرب الكواكب الى الارض فكيف له ان يعرف شيئا عن الكواكب البعيدة؟ و اذا كان الانسان ليس في فكره ان يقترب من اقرب النجوم الى الارض، وهي الشمس، فكيف بالانجم البعيدة الضخمة وغير الضخمة؟

ان من يتكلم عن علومنا التي وصلنا اليها اليوم على انها فتوحات فهو لا شك صغير العقل، واهم. لأن القرآن علّمنا ان الكون أوسع كثيرا مما قد يتخيله انسان. هذا هو ما فهمناه عن الكون من القرآن الذي يسبق علم الانسان بمراحل و يقول دائما وابدا: "وما اوتيتم من العلم الا قليلا"

لندع باقي كلامه عن السماء لانه، كله، هراء ولنذهب الى القصة التالية التي تكلم عنها وهي قصة ذي القرنين في سورة الكهف.

يبدأ الرجل بالآية الكريمة: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ"([[60]](#footnote-60))

ويقول عنها: (لا نزال هنا ندور في علم الفلك الاسطوري الضيق القديم الذي لا يصعب على السائح فيه ان يبلغ مغرب الشمس ومشرقها. فهي تغرب في عين ذات حمأة وهي الطين الاسود. ثم تغيب في علم الله حتى تطلع من المشرق في الطرف الآخر من الارض. لقد بلغ ذوالقرنين المشرق والمغرب كأنما يوجد حقا نقطة ثابتة في الكون هي المغرب وأخرى هي المشرق).

يا سادتي لنقف قليلا هنا.

نقف لنوضح امرا مُهمّا يكاد يغيب عن بال كثير من الناس، سواء كانوا مؤمنين او ملحدين.

هل كل الأقوال الواردة في القرآن هي أقوال الله؟ ألا يشتمل القرآن على كلام الغير و فهم الغير وتصور الغير سواء كان هذا الغير إنسا او جنّا او حيوانا او مخلوقا غير هولاء؟

بل الله سبحانه وتعالى ينقل لنا في آيات كثيرة اقوال وتصورات الآخرين:

" قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً"([[61]](#footnote-61)).

هل هذا كلام الله؟

لا. هذا ليس بكلام الله. هذا كلام قالته الملكة بلقيس الى قومها ونقله القرآن إلينا.

" قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"([[62]](#footnote-62)).

هل هذا كلام الله؟

لا. هذا كلام شاهد من اهل زوجة عزيز مصر او هو العزيز نفسه.

القرآن يا سادتي بنقل لنا كثيرا من أقوال وظنون وتهيؤات الناس من الانبياء والرسل والمؤمنين والمنافقين والمشركين والكفار وغيرهم من المخلوقات.

فإذا جئنا الى الآية السابقة: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" سنرى ان الضمير في وجدها تعود الى ذي القرنين. وكلمة "وجد" في اللغة العربية لها معان متعددة ومن معانيها "رأى".

أي ان ذا القرنين رأى الشمس تغرب في عين حَمِئة. وبما اننا متفقون على ان ذا القرنين هو إنسان فانه يَصدُقُ عليه ما يصدق على كل الناس. فاذا وقف اي انسان سليم العقل والعينين على ساحل البحر عند الغروب فإنه سيرى الشمس تهبط داخل البحر من الطرف الآخر. هذا بالضبط ما رآه ذوالقرنين بصرف النظر عن حقيقة الشمس والارض وكرويتهما وغير ذلك. فالقرآن ينقل لنا ما رآه ذوالقرنين تماما. بمعنى ان القرآن هنا لا يتكلم عن شيء كونّي وانما يتكلم عن قصة رجل. ويحكي لنا افعاله واقواله وما سمعه وما رآه. فهل كان من المعقول والمقبول ان يترك القرآن القصة الاساسية ثم يتكلم عن كروية الارض ودورانها حول الشمس وغير ذلك من الكلام الذي لا فائدة منه هنا؟

اما السؤال عن: هل يوجد مشرق شمس ومغرب شمس على الارض؟

اقول نعم يوجد مشرق شمس ومغرب شمس على الارض. إن كروية الارض لا تعني عدم وجود مشرق ومغرب.

لقد قسم العلماء يوم الارض الى أربعة وعشرين ساعة تبدأ من الساعة صفر وتنتهي عند الساعة الثالثة والعشرين ثم يبدأ اليوم التالي.

لا شك و لا اختلاف في ان هناك نقطة ما على سطح الارض - سواء كانت معلومة لنا او مجهولة وسواء كانت في اليابسة او في البحر - هي اول نقطة يبدأ منها اليوم، وهذه النقطة هي اول نقطة تشرق عليها شمس اليوم. فهذه النقطة هي مشرق الارض.

ولا شك في ان هناك نقطة ما على سطح الارض كذلك ينتهي عندها اليوم الارضي وهذه النقطة هي آخر بقعة على سطح الارض تغرب عنها شمس اليوم وهذه هي مغرب الشمس. وحتى لو اختلفت النقطة التي تشرق عليها أو تغرب منها الشمس يوما بعد يوم فإن مشرق الشمس ومغربها لكل يوم تكون موجودة.

ثم يتكلم عن يأجوج ومأجوج وقصة السد الذي بناه ذوالقرنين ويقول: (وقد حار المفسرون في امر هذا السد، وذهبوا في مجاهل الاسطورة كل مذهب. ومع انه لا يوجد مكان او موقع على الاقل فوق كوكب الارض لم يكتشف بعد. فإن شعار "صدق الله وكذب بطن اخيك" لا يزال رائدهم هنا).

نعم صدق الله وكذب الملحد الافاك الذي لم يجعل الله له حظا في العقل.

انظروا الى افترائه علينا ونحن نعيش معه على الارض ونعلم مثله بعض ما يدور فيها.

هل حقا لا يوجد مكان او موقع على سطح الارض لم يكتشف بعد؟

كلنا نعلم ان هذا كذب وافك يردده الملحدون الذين يظنون ان الانسان بلغ ذُرا العلم. بل وما يقول به الا ملاحدة دول العالم المتخلف بينما العلماء في الدول المتقدمة يؤمنون بان الانسان لم يبلغ بعد من العلم شيئا. كما نعلم جميعا ان هناك مواقع واماكن كثيرة لم تكتشف بعد على سطح الارض. فلو كان الامر كما يقول الرجل فما هي هذه الاكتشافات الاثرية التي تطل علينا مع كل صبح جديد في مختلف بقاع الارض؟!!

ثم هل الملحد يظن ان سطح الارض هو فقط الطبقة الخارجية التي نعيش عليها؟ انه فهم طفولي للارض من هذا الذي ينعق باسم العلم!!!

ثم ما ادراك ان كان هذا السد في سطح الارض او باطنها القريب او حتى البعيد؟

ثم يتكلم بكلام هزلي فارغ المحتوى عن السكنى في الفضاء وكيف سيكون الحج والصلاة وغير ذلك من الترهات التي لا تستحق الرد. فإن كل من يقرأها لن يملك نفسه من الضحك على عقل ضال لم يستطع ان يثبت بطريقة علمية واحدة الاختلاف بين العلم والقرآن.

ومما اود ان اقوله للملاحدة وغير الملاحدة عن العلم والقرآن هو ان القرآن ما زال و بالطبع سوف يظل سابقا العلم البشري الى يوم القيامة.

ان بعض المؤمنين يقولون للملحدين: القرآن ليس كتاب علوم. اما انا فاقول لهم: بل القرآن كتاب علوم. نعم ويسبق علوم البشر بكثير جدا.

القرآن فيه علم الاحياء و الكيمياء والفيزياء والرياضيات والادب والطب والهندسة والقانون وغيرها مما لا يحتويه عقل واحد من البشر. شاء الملحدون أو أبَوا

لا اريد ان افصّل هنا ولكن سأشير الى آية واحدة تبيّن ان الانسان لم يصل بعد الى كثيرٍ ما في القرآن من علوم.

في سورة النمل وفي قصة عرش بلقيس سأل سليمان عليه السلام الحضور من الجن والانس والحيوان: من يستطيع ان يأتيني بعرشها؟

قال عفريت من الجن: انا آتيبك به قبل ان تقوم من مقامك.

قال الذي عنده علم من الكتاب: انا آتيك به قبل ان يرتدَّ إليك طَرْفُك. وفي التوِّ كان العرش مستقرا بين يدي سيدنا سليمان عليه السلام.

لا أشك في ان كثيرا من علماء الفيزياء والفضاء والطيران يفكرون كثيرا في صنع طائرات تصل سرعتها الى سرعة الضوء. هم يعلمون انها ليست من المستحيلات ولكن يؤرقهم سبيل الوصول الى ذلك. و قد فاق العلم في القرآن كل ما وصلوا اليه حتى اليوم.

لكن. لنتدبر هذه الآيات مرة أخرى لنكتشف ما فيها:

العرش لم يأت به الجنّي. وكان يريد أن يستند على القوة الخارقة للجن. ولو فعل ذلك لأُغلِقَ الباب امام الانسان من أن يفكر مستقبلا في إنجاز مثل هذه الأعمال الكبيرة لأنها كانت ستتطلب قوى خارقة لا يتمتع بها الانسان.

العرش لم يأت به سيدنا سليمان عليه السلام إستنادا على معجزات النبوة. ولو فعل لأُغلِقَ الباب امام الانسان من يأتي بمثله لانه يحتاج الى معجزة أنبياء.

ولكن العرش جاء به صاحب العلم. "الذي عنده علم من الكتاب".

لا أحبذ الجدل في من هو صاحب العلم؟ أهو إنسي او جنّي. لانه في كل الاحوال لم يأت بالعرش الا بالعلم. كما لا احبذ الجدل في ما هو هذا الكتاب. ورغم كل اختلافات المفسرين فإنه يظل كتابا فيه من العلوم ما فيه. وبما اننا امام واقعة فيزيائية وهي نقل شيء من مكان الى مكان بما يستتبع ذلك من قوانين الثقل والحجم والسرعة والزمن، فهذا يعني ان الكتاب كان يحتوي على علم الفيزياء.

ما يهمني حقا هو ان هذه الآية هي اكبر دليل على ان الله سبحانه وتعالى يحترم العلم والعلماء. وان القرآن على غير ما يظن الملحدين هو كتابٌ يدعو الى العلم ويعظم العلماء.

والحكمة العظيمة من هذه الآية هي أن الله سبحانه وتعالى يبيّن لنا ان العلم قد يفعل ما لا تفعله القوى الخارقة سواء من الجن او الطبيعة. و يبيّن لنا ان المعجزة الحقيقية هي "العلم". هل فهمتم أيها الملحدون؟ القرآن يؤكد لنا إن المعجزة الحقيقية هي "العلم". فطأطئوا رؤسكم للقرآن إن كان فيكم بقيّةٌ من حياء.

## كل ما في القرآن هو من عند الله

في هذا العنوان يرغي الرجل ويزبد ويكشف سبب حقده الدفين على الله وعلى القرآن.

يقول: (لاقوانين طبيعية في القرآن. ارادة الله هي القانون. كلا ولا سنن كونية. فالسنن انما هي سنن الله لا سنن الكون، فالله في القرآن لا يعترف بسنن الكون. وينتج عن هذا ان الحياة والموت والنجاح والفشل والصحة والمرض والنصر والهزيمة لا ترجع الى جهود الانسان وانما ترجع الى الله الذي خلق الانسان).

عدم فهم مطلق للقرآن!!!

ألم يقرأ الرجل آيات كثيرة تدعو الى السعي والعمل؟

" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ"، أليست هذه آية من آيات الذكر الحكيم؟

هل هناك دعوة اكثر صراحة من هذه الآية تدعو الى الاجتهاد في العمل؟ بل انها تأمر بذلك.

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" أليست دعوة للعمل؟ هل تظنون انها دعوة للعبادة فحسب؟ حسنا، فإن العمل في الاسلام عبادة. عن كعب بن عجرة قال: مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء وتفاخراً فهو في سبيل الشيطان"([[63]](#footnote-63))

وقال: "ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"([[64]](#footnote-64))

وفي القرآن ايضا: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ"([[65]](#footnote-65))

من يفهم القرآن يدرك انه لا يدعو الى التواكل وانما الى التوكل، والتوكل مربوط بالسعي لا بالنوم و التمني؟ "العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني"

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعقلها وتوكل"([[66]](#footnote-66))

ألم يقل: "ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه"([[67]](#footnote-67))

كثيرة هي الاحاديث التي تدعو الى العمل وان إفتراء الرجل في هذه المسألة لا مثيل له.

يبدو انه كان يفهم القرآن بطريقة خاطئة ولهذا اجتهد في الدعاء وسهر الليالي في التضرع دون ان يسعى لسداد ديونه!

ألم يقرأ قول عمر رضي الله عنه: "ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة"

لقد كان صاحبنا يظن ان السماء ستمطر عليه ذهبا وفضة!!

ورغم كل هذا فإن الامر لله من قبل ومن بعد يفعل ما يشاء.

ان هزيمة الجيوش بيد الله نعم، وليست بيد قادة الجيوش. فإن شاء الله هزم القوي ونصر الضعيف كما حدث في بدر. فأين هي قوانين الطبيعة التي يتكلم عنها الرجل هنا؟ لو كان الامر بالقوة وحدها لاندحر جيش المسلمين يوم بدر ولهلكوا عن بكرة ابيهم.

ليست بالقوة وحدها ولا بالدعاء وحده وانما هي "اعقلها وتوكل"

هكذا يُسيّر الله الدنيا.

وبقول ان انهيار السدود كسد مأرب لم يحدث لان الناس افسدوا بل لتوافر الاسباب الطبيعية التي تؤدي الى انهيار السدود!!

و نسأله: من الذي اوجد الاسباب الطبيعية التي تؤدي الى انهيار السدود؟

وهو دائم الكلام عن القوانين الطبيعية باعتبارها في مواجهة الارادة الإلهية دون ان يخبرنا من الذي اوجد الطبيعة وقوانينها اصلا؟

درج الملحدون على هذا المسلك دائما واذا سألتهم من خلق الطبعية نكسوا رؤسهم.

ثم يتكلم عما توعد الله به القوم المفسدين من عقاب الدنيا ويصفها بانها تهديدات جوفاء لا يتم تنفيذها!!!

وقد بينا سابقا ان العقاب الالهي الدنيوي موجود ومتوافر ولم ينقطع كما يتوهم الرجل. ونضيف هنا ما لم نقله سابقاً وهو إن الله قد يؤخر عقاب قرية ظالمة و يعجل عقاب أخرى. فالأمر في البدء والمنتهى لله رب العالمين، يفعل ما يشاء. ولا معنى أصلا لحديث هذا الملحد في شأن يخص الله ولا يخص أحدا غيره.

ثم يقول: (الجوع والخوف لهما اسبابهما الطبيعية وقوانينهما التي لا تتخلف. ولكن يأبى القرآن الا ان يتنكر لهذه القوانين ويدوسها بقدميه ليستبدل بها قوانين الكفر والايمان ويربطها بها وهي قوانين عشوائية غير مطردة وغيرثابتة)

ثم يدلل قوله بالآية الكريمة: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"([[68]](#footnote-68))

ما هي القوانين الطبيعية التي يجب ان تتوفر ليعيش الناس في الجوع والخوف؟

لم يوضح لنا الرجل اي قوانين وانما ساق الكلام كعادته جزافا بلا أدلّة. ورغم هذا اقول: ان مخالفة اوامر الله سبب من اسباب الجوع والخوف وانهيار السدود والدول: فإذا استشرت المحسوبية وأوكلت الامور والوظائف الى الاهل والأحباب والاصدقاء دون النظر الى الكفاءة والأمانة، ثم اذا إستشرت الرشوة والربا وعدم الاهتمام بالعمل وعدم إتقانه و تمكن الفاسدون والمفسدون من شئون الدولة، عندها فانتظر الخوف والجوع. وكل تلك الافعال مما حرمها الله. وكلها تدخل في معنى "كفرت بانعم الله". فلم اذاً التعجب من الآية وهي ما بيّنت الا الحقيقة؟

ثم يتكلم عن قصة قارون وهلاكه ويقول: (لقد خسف الله الارض هنا بشخص واحد فقط. لانه على ما يبدو كان هو الوحيد المستوجب للعقوبة، لا سيما بعد قوله انه أوتي ما أوتي على علم منه. وهذه جرأة على الله لا يرضاها لنفسه مع ان أمراء المال اليوم في امريكا اغنى من قارون واكثر جرأة واعتى واشد شكيمة، فلم يخسف بهم الارض، بل زادهم تجبرا واستكبارا).

ان عدم قدرة الرجل على فهم القرآن جملة وتفصيلا هو الذي لا شك ادى به الى التهلكة. هو يظن انه قرأ القرآن بتدبر فإكتشف فيه الاخطاء، بينما الحقيقة هو انه لم يتدبر آية واحدة من آياتها. والادلة كثيرة ومنها كلامه هنا عن مصرع قارون.

اولا لا يوجد وجه للمقارنة بين قارون وبين اثرياء امريكا. ذلك لان قارون كفر بالله فهو ملحد، بينما اثرياء امريكا هم في الغالب يهود او مسيحيون، اي انهم في نهاية الامر يؤمنون بالله.

قارون قيل له: "واحسن كما احسن الله اليك" وهذا يعني انه لم يكن يدفع للفقراء ولا لغيرهم بينما اثرياء امريكا يدفعون الاموال الطائلة لصالح المنظمات الخيرية وفي البحوث العلمية. فلولا اثرياء امريكا لما ركبنا السيارات والطائرات و لما وجدنا الادوية التي تداوي امراضنا. ولم يكن قارون ممن له نفع عام فلو كان له نفع لما اهلكه الله.

وحينما بلغ تجبره وتكبره مداه وقال: "انما اوتيته على علم عندي"، هنا فقط استحق العقوبة لانه قلب معركته من معركة بينه وبين الناس الى معركة بينه وبين الله.

الرجل أغناه الله فلم يؤمن به، ودعاه للانفاق فأبى، ودعاه أن يترك الفساد فازداد فسادا، ثم قال لله: ما شأنك انت لقد اغتنيت بعلمي وجهدي. الا يستحق الخسف؟

لو بقى على كفره ولم يصارع الله لتركه الله ليوم القيامة. اذ ليس الكفر والشرك والنفاق بحد ذاتهم موجبات للعقاب الدنيوي كما فهم هذا الملحد. لو كان الامر كذلك لهلك اكثر الناس ولكن الله يؤخر الناس ليوم لا ريب فيه "انما يؤخرهم لاجل مسمى". ولكن ما يوجب العقاب الدنيوي هو الاستكبار والفساد في الارض مع الكفر و مصارعة الخالق.

وهذا ما لم يفهمه الرجل. هذا وليس من الحكمة ان نقول ان كل اثرياء امريكا لم يعاقبهم الله. فقد والله علمنا ان من أثريائهم منْ لم يستطع كل ماله ان ينقذه من المرض والعجز.

ثم يقرأ الاية الكريمة: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ"([[69]](#footnote-69))

ويقول: (ان هذا التحقير للانسان والالحاح على تفاهته في هذا الكون سمة بارزة في القرآن).

وهذا افتراء من إفتراءاته على الله والقرآن. ربما هو لم يقرأ او لم يفهم الآية التي تقول: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"([[70]](#footnote-70))

ابعد هذه الآية يريد ان يقنعنا بان القرآن يحقّر الانسان؟!!

ثم يعود – كما عاد مرات كثيرة – ليكشف لنا سبب حقده على الله ويقول: (ثم اذا كان الانسان فقيرا الى الله حقا، فما باله سبحانه يتخلى عنه في الشدائد، ويتركه لمصيره يعاني جميع انواع الحرمان حتى يموت جوعا كما تموت الفئران والكلاب والخنازير؟ اين قوله تعالى: " أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ" فعن اي اجابة يتحدث هنا؟ ولمن كشف السوء؟ ومتى؟ هل كشف السوء مرة عن امرأة يتلوى طفلها من الجوع فيسقط ميتا بين يديها وهي لا تستطيع حياله شيئا؟ .... اين قوله سبحانه أيضا: " وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" ان الدواب ياكل بعضها بعضا وليس الله هو الذي يطعمها. فالحيوان الذي لا يستطيع انتزاع رزقه بالقوة والعنف، بل وبالعدوان، يموت جوعا رغم التزام الله برزقه)

نرى ببساطة شديدة ودون اي عناء ان الرجل دائما ما يشكو مُر الشكوى من عدم استجابة الله لدعائه عند الشدّة التي ألمت به.

الايمان والكفر كما قلنا، هما قاعدتان على النقيض. فمن ينطلق من قاعدة الايمان لن يكن فهمه الا على النقيض من فَهْمْ مَنْ ينطلق من قاعدة الكفر. وهذا هو السبب في الجدل الذي لا نهاية له بين المؤمنين والملحدين. المؤمن يرى الدنيا بعين غير التي يراها بها الكافر.

فما يراه الكافر شرا مستطيرا قد يراه المؤمن خيرا وبركة، "كل امر المؤمن خير".

والرجل يحاول استخدام اللغة لإستدرار العطف إذ يقول: كما تموت الفئران والكلاب والخنازير. لماذا لم يقل كما تموت الغزلان والحمائم والعصافير؟ أم ان هذه موتتها مختلفة عن تلك؟

ويسأل: لمن كشف السوء؟، لا شك في ان الله سبحانه وتعالى كشف السوء عن كثير من خلقه. فان كان الرجل ليس منهم فهذا لا يعني عدم وجودهم. واذا كان يريد ان يعرف عددهم ومن هم فإنما هو يطلب المستحيل. وليس سؤاله سوى استنكارا لان الله لم يستجب له.

اما قوله ان الحيوان الذي لا يستطيع انتزاع رزقه بالقوة يموت جوعا رغم التزام الله برزقه، فهو قول فلسفي لا طائل من ورائه. اذ أن "قانون الطبيعة" الذي ظل يتبجح به يقول ان دورة الحياة تستدعي ان تسير الامور على هذا النحو. و قانون الطبيعة وضعه الله ليُسيِّر عليه الكون.

ثم ما معنى انه مات جوعا رغم تكفل الله برزقه؟ انه من أكثر الاقوال غباءً ورب الكعبة!! وهو كلام لا يصدر عن تلميذ في الابتدائية دعك من رجل يقول انه يحمل دكتوراة الفلسفة!

ان الله كتب الموت على كل حي. وكما قال الشاعر: من لم يمت بالسيف مات بغيره تتعدد الاسباب والموت واحد. فان كان البعض يموت غرقا او حرقا او مرضا او هاويا من شاهق، فما المانع من ان يموت البعض الاخر جوعا او عطشا؟ وان البعض يموت من التخمة فما قولك؟!

واذا كان يظن ان الطفل الذي يموت رغم تضرعات أُمّه شرا لحق بها، فقد يكون الامر خيرا ان صبرت واحتسبت. فإن كانت الأم كافرة فإن الحياة الدنيا زائلة، شئنا ام ابينا، كلنا الى الموت. اما كيف سنموت فهذا ليس مهما. ما يهم وما يجب أن يقلق الإنسان بشأنه حقا هو ما سيكون بعد الموت. هناك في الدار الآخرة حيث يجمع الله أحزان المؤمن في الدنيا ويجعلها ثوابا عظيما. يومها يفرح المؤمن و يتمنى ان لو كانت حياته الدنيا من اولها الى آخرها حزنا مستمرا. هذا ما لا ولن يفهمه الملحد الذي ينطلق من قاعدة الكفر.

## آيات لا معنى لها

يقول في هذا العنوان:

(في القرآن عدد لا يستهان به من الآيات لا معنى لها)

(ما معنى هذه الآيات الثلاث، بل هذه الالغاز الثلاثة، " وَالصَّافَّاتِ صَفًّا \* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا \* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا \* إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ"، وما علاقتها بوحدانية الله؟ هل فهمتم شيئا؟ انا وانت لم نفهم شيئا. واتحدى الانس والجن ان يفهموا شيئا)

ثم يتكلم عن اقوال المفسرين وكيف انهم (فكروا وقدروا وقلبوا هذه الآيات ومحصوا ومع ذلك لم يصلوا الى شيء)

اما اقوال المفسرين فهو اجتهادهم. اصابوا او اخطأوا فهم بذلوا ما في وسعهم و ليس من الحكمة ولا من المنطق العلمي الهُزءْ بمن بذل الجهد وسكب العرق وسهر الليالي. ان ابسط حقوقهم علينا ان نجذل لهم الشكر. اما الاستهزاء بهم فلا يصدر الا من عقل بلغ خريفه وذبل واوشك على السقوط كما تسقط اوراق الاشجار.

ولقد اثبت الاسلام حق المجتهد في الثواب اخطأ ام اصاب وهذا وحده يكفي للرد على الزنادقة وانصاف المتعلمين.

أما قوله: (انا وانت لم نفهم وأتحدى الانس والجن ان يفهموا شيئا) فهو قول أقل ما يقال عنه انه قول ساقط لا يصدر الا من عقل ضيق الافق لم يعطه الله حظا في القدرة على التدبر والاستنباط.

ان ابسط قواعد العلم والبحث العلمي تمنع العالِم من اتهام الغير بعدم الفهم. ان اعترف العالِم بعدم فهمه لمسألة فذاك شيمة العلماء. لكن اذا زعم، بل وأصرّ على ان ما لا يفهمه هو لن يفهمه غيره فهنا تكون السقطة التي لا قيام بعدها.

هو لم يفهم، وانا ايضا لم افهم، ولا اشك في ان هناك من يفهم ما لا افهمه أنا وما لايفهمه الملحد.

إذا كان القرآن هو آخر كُتب الله الى اهل الارض – وهو حتما كذلك – واذا كان سيبقى مع الناس حتى قيام الساعة – وهو سيبقى كذلك - فلابد ان تكون هناك آيات لا يفهمها المتقدمون وسيفهمها المتأخرون. بمعنى ان آيات القرآن ليست كلها متاحة للفهم في عصر واحد وإنما ما لا نفهمها اليوم سيأتي غدا من يفهمها وهكذا. فاذا كان الرجل يريد ان يفهم كل آيات القرآن فإنما هو يطلب المستحيل. وكل ما على العلماء ان يقوموا به هو الاجتهاد وليس مطلوبا منهم غير ذلك. وهم مأجورون اصابوا او اخطأوا. ولو كانت كل آيات القرآن متاحة للفهم لما كان هناك معنى من ثواب المجتهد المخطئ.

وكل ما جاء به في هذا الباب من عواء لا يخرج عن ردنا هذا له. سواء كان عن "الطور وكتاب مسطور" او "والنازعات غرقا" او غيرها من الآيات التي يظن انها بلا معنى. فليس كل كلام الله مما يحيط به عقل بشر.

وقد يسأل البعض عن "لماذا ينزّل الله آيات لا يفهمها الناس؟"

وردنا على هذا السؤال هو ان آيات الاحكام الشرعية والعبادات واضحة وصريحة ويفهمها كل الناس وهذا هو المطلوب. اما غيرها من الآيات المحكمة فيتفاوت الناس في فهمها. اما الآيات المتشابهة فإن حِكمة نزولها عند الله وعلى الناس الايمان بها "والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"

ولعل بعض آيات القرآن فتنة، ليعلم الله من يؤمن بها ومن يكفر بها. فما ادراك ايها الرجل ان تلك الآيات وغيرها انزلت فتنة للناس؟

اما ادعائه بان بعض آيات القسم ليس لها جواب قسم فهو هراء آخر ..

" ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ \* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ"([[71]](#footnote-71))

" ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ \* بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ"([[72]](#footnote-72))

أليست "بل الذين كفروا" و "بل عجبوا" جوابا للقسم؟ بلى واننا في حياتنا اليومية نستخدم مثلهما كثير.

ثم يتساءل: (ما معنى ان يقسم الله بالشفع والوتر؟ ما هي هذه الليال العشر؟ انها عشر ذي الحجة. او لعشر ذي الحجة كل هذه الاهمية حتى يقسم الله بها وينزل بها قرآنا)

أقول له: نعم عشر ذي الحجة لها كل هذه الاهمية وهي تسمى ايضا ايام الله. ثم ما شأنك ان اقسم الله بذي الحجة او شعبان او مارس؟ وماذا تبتغي من وراء جدلك هذا؟ هل تريد أن تُملى على الله بماذا يقسم؟ ثم ما علاقة كل هذا الهراء الذي سقته في هذا الباب بكفرك وإلحادك؟

هل انت كفرت لانك لم تفهم معنى " وَالطُّورِ \* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ"[[73]](#footnote-73) ام لأن هذا القسم لم يعجبك؟

" وَالْفَجْرِ\* وَلَيَالٍ عَشْرٍ\* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ\* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ\* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ"([[74]](#footnote-74))

القول بأن هذه الآيات قسمٌ هو اجتهاد علماء اجلاء رأوا فيها ذلك. فاذا كان لك نقد في هذا فليكن في اجتهاد العلماء وبكل ما يتطلبه النقاش والنقد العلمي من ادب. وحقا من لم يتأدب مع الله فكيف يتأدب مع العلماء.

اما الولولة والكلام عن الفجر الكوني و العيد الكوني وان القرآن جعل الارض مركز العالم وغيرذلك من الترهات فانما ينم عن نقص في العقل وخلل في الفهم.

## سجع القرآن وسجع الكهان

تحت هذا العنوان يقول الرجل:

(القرآن كتاب فريد حقا. انه نسيج وحده. فهو نثر لكنه ليس كالنثر. وهو شعر وما هو بقول شاعر. وهو موزون وليس كأوزان العرب. وهو مقفى وليس كله كمثل قوافيهم. انه هو، انه القرآن والسلام ... القرآن مولع بالقوافي، مفتون بالسجع حتى ليشبه في بعض الاحيان سجع الكهان)

هل هناك اعجب من هذا يا سادتي؟!!

لقد وصف الرجل القرآن بأنه، ما هو الا سجع كهان. فيقول مرة: (وهذا سجع عجيب من سجع الكهان القرآني) ويقول تارةً: (هذا من سجع الكهان ايضا) و يقول أخرى: (هذه دفعة اخرى من سجع الكهان) و يقول ايضا: (ترى هل سجع الكهان غير ذلك؟ والا فما عساه يكون)

بعد كل ذلك يعود هنا ليقول ان القرآن مفتون بالسجع حتى ليشبه في بعض الاحيان سجع الكهان. اي انه يعترف من حيث لا يدري ان القرآن ليس بسجع كهان!!

و يقول ايضا في الباب السابق: (انا لا انكر ان تكرار العبارات واستخدام الايقاع الشعري والجناس والسجع وما اليها تقنيات تساعد كثيرا على الاحتفاظ بالنص في الذاكرة، كما تيسر اعادة الترتيل الدقيق بلا تحريف)

حسنا. اذا كان الامر كذلك فما العيب في ان يكون القرآن مسجوعا؟ أليس حفظ الآيات وترتيلها بدقّة أمرا مطلوبا في القرآن؟

اذا لا معنى للولولة والصراخ من ان القرآن فيه سجع. هذا لا يعيب القرآن في شيء.

## القرآن والايمان بالغيب

في بداية هذا الباب يعود الى هرطقة الملحدين القديم الذي اثبتنا وهنها وضعفها و نقصان عقل القائلين بها.

يقول: (علينا ان نركز على العقل دون النقل. وعلى العلم والمعرفة لا على السحر والعرفان. وعلى الانسان اكثر منا على خالق الاكوان. ويجب ان نتخلى اولا وقبل كل شيء عن عالم الغيب لنعيش في عالم الشهادة. وندخل باب العمل بموجب قوانين العقل والمنطق الصارمة بدل ان نستسلم للبلادة)!!

وأي بلادة اكثر من هذه الدعوة!!.

قلنا ان العقل الانساني ليس كاملا ولا ينبغي الإعتماد عليه في كل شيء. هذا أثبتناه بالحجة.

ما معنى دعوة البعض الى ترك النقل والاخذ بالعقل؟ أراهم يتمسكون بهذه الأُحُجِية كما لو كانت حقيقة من حقائق العلم.

ما معنى النقل؟

النقل هو في الحقيقة عمل ناتج عن عقل. سواء كان هذا العقل عقل بشر او إله. فكيف تدعو الى ترك النقل؟

لولا النقل لما وصل الينا من أثر السابقين ومن نتاج عقولهم شيء. ولولا اعتمادنا عليه لما بلغ الانسان ما بلغ.

وان كان البعض يطلق كلمة "النقل" فقط على النصوص الدينية، فإن النصوص الدينية هي ايضا انتاج عقلي.

اما الكلام عن الغيب والغيبيات وعدم الالتفات لها هو في ذاته دعوة لتنويم العقل.

إن كل ما نستمتع به في عصرنا الحالي من تقنيات وتكنلوجيا هي في الحقيقة كانت من الغيبيات التي لم يكن يدركها عقل الانسان في يوم من الايام الخالية.

لو انك قلت لشخص ما قبل الف عام ان هناك مخلوقات تعيش داخل جسم الانسان تسبب له الامراض لوصفك هذا الشخص بالجنون او بالجهل والتخلف كما يصف ملاحدة اليوم كل من يؤمن ب"البراق".

فهل هذا هو العقل الذي يريدنا الملحد ان نتوكل عليه؟

لو عاش الانسان فقط على عالم الشهادة كما يدعو هذا الرجل، و الملحدون من قبله وبعده، لظللنا في العصر الحجري حتى يومنا هذا. ذلك لأن كل هذه الاكتشافات العلمية وغير العلمية انما كانت يوما ما في عالم الغيب عن الانسان.

ثم يقول في افتراء عظيم: (ولا ادل على اهمية الغيب في الاسلام من ورود هذه الكلمة 48 مرة في القران. لقد حكمتنا هذه الكلمة المشؤومة وما زالت. فأنهكت التاريخ وانهكت الذاكرة وارتهنت الارادة. وكبلت العقل بقيود لا فكاك منها. وكانت مددا للتافهين والعاجزين واللقطاء والمتسكعين ومن اليهم من سدنة الهيكل و مؤججي النار الاخرين).

يظل الملحدون يرددون هذه الكلمات اين ما وجدتَهم وكيفما وجدتَهم. صغيرهم التافه وكبيرهم الأكثر تفاهة.

ولا يجيبون على سؤالنا ابدا: كيف انهك الايمان بالغيب ذواكركم؟ وكيف كبّل عقولكم؟ ومتى منعكم من العمل وكيف؟

ان ذواكركم منهكة اصلا. وعقولكم مكبلة طبْعا. ولما لم تجدوا سبيلا مع اصحاب الفهم والعلم رميتم اثقالكم على ظهر الايمان بالغيب.

الايمان بالغيب يا سادتي هو وقود التفكير. بل هو السبب الرئيس في تقدم البشرية. اذ لو لم يكن الانسان يؤمن بان وراء بصره المحدود تكمن اشياء لا يراها لما فكر في البحث والتقصي والاستكشاف.

إن الملاحدة لا يريدون للعقل انطلاقا. بل هم في حقيقتهم لا يطيقون التفكير و لو كانوا من اهله واهلا له لتمسكوا بالغيبيات و انطلقوا في التفكير. لكنهم اهل دعة وراحة يغيظهم ما يرون من همّة العلماء و نشاطهم. كما ان انطلاق العقل في التفكير سيؤدي بهم في النهاية الى الايمان بالله. وهذا ما لا يرجونه أبدا.

و في سقطة من سقطاته الكبرى - وليس بعد الكفر من سقطة – يقول: (لقد أفسدَنَا عالم الغيب منذ أعالي عصور الانحطاط وجعل منا دراويش نترنح في حلقات الحياة كما نترنح في حلقات الذكر، مخصيي الكلمات والفكر. نمارس الركوع والسجود والقيام والقعود، نعطي دروسا في التوكل والتواكل واسقاط التدبير).

رغم انه كان يدرس القرآن وورث الدين كابرا عن كابر كما يقول الا انه لم يفهم الاسلام على حقيقته!!

ربما يكون ورث نوعا من التدين الفارغ لكنه لم يرث الدين الصحيح!!

الاسلام يدعو الى التوكل ويرفض التواكل، بل و يتوعد المتواكلين: "العاجز من أتْبَعَ نفسَه هواها وتمنى على الله الاماني"([[75]](#footnote-75)). التواكل في الاسلام عجز وضعف وخور ومرفوض. "ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة". دعوة للانطلاق والاجتهاد والعمل وسكب العرق.

اما التوكل فهو محمود. والتوكل هو ان تتقن عملك ثم تتوكل. ان تؤدي ما عليك من واجب ثم تتوكل. "اعقلها وتوكل".

ولان الرجل لم يكن يفهم الدين الحق، كان يسهر الليالي يدعو الله ان يسدد عنه ديونه دون ان يسعى ويعمل!!

اما الترنح في حلقات الذكر فلا شأن للاسلام به.

الذكر في الاسلام ليس له حلقات ولا امكنة مخصصة واننا تستطيع ان نذكر الله في كل حين وكل مكان.

والعمل في الاسلام عبادة من اعظم العبادات. وفي الحديث الشريف: "أن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"([[76]](#footnote-76)) فهل من دعوة للاجتهاد في العمل والاعمار اكثر من هذا؟!

الاسلام حينما جعل الصدقة والانفاق من اعظم العبادات انما هو يدعو الناس للعمل والكسب. اذ لابد لكي تكون منفقا ان تكون صاحب مال ولكي تكون صاحب مال لابد ان تكون صاحب عمل. هكذا نفهم الاسلام.

ثم يقول: (ندعو الله صباح مساء ان ينصر المسلمين. ويقوي وحدتهم. ويرفع بنيانهم ويمحق دولة اليهود. ويشتت شملهم. ويخرب بنيانهم. ويجعلهم وما بين ايديهم غنيمة للمسلمين. لقد جفت حلوقنا من كثرة الدعاء وبريت اصابعنا بل وسبحاتنا من كثرة التسبيح).

ربما يكون الرجل من طائفة معينة تفهم الاسلام بهذه الطريقة المعوجّة. طائفة ترى التواكل توكلا و الغناء والرقص ذكرا. فاذا كان الامر كذلك كان على الرجل ان يعيد قراءة الاسلام بعيدا عن تأثير فكر طائفته عليه. لكن، يبدو انه لم يستطع الفكاك من الأسر.

الاسلام ليس دعاءً فحسب. بل عملٌ ثم دعاء.

القرآن هو الذي قال: "واعدوا لهم"

ويقول: " وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً"([[77]](#footnote-77))

فاذا كان الرجل لا يفهم مثل هذه الآيات البينات، فما باله يسأل عن "الصافات صفا" ما تكون؟

وفي آخر هذا الباب يقول: (تهيمن على القرآن، وتتخلل كل صفحة من صفحاته عقيدة راسخة في القضاء والقدر لا يخطئها البصر. ولئن كانت الآثار المدمرة لهذه العقيدة الايمانية الاساسية غير ظاهرة في عصور الصعود، فقد كانت واضحة جلية في عصور الانحطاط. بل لقد عجلت بهذا الانحطاط واستقدمته قبل ايذانه ووقت اوانه. وهكذا صبت جميع سمومها وافرازاتها الفاسدة في نشاط المسلمين المتأخرين وشلت جميع حركاتهم. القضاء والقدر لا يصنع سادة بل يصنع عبيدا. القضاء والقدر لا يقيم دولا، بل دويلات وشراذم. القضاء والقدر لا يوحد بل يشتت ويفرق. القضاء والقدر لا ينشيء علوما بل جهالات. وهو لا يبني حضارة وعمرانا بل يدمر الحضارة والعمران. فاذا رايت امة متقدمة وحضارة زاهرة وبلادا عامرة فاعلم ان القضاء والقدر ليس له فيها نصيب او اقل نصيب).

ما رأيت عواء اجوف كهذا من قبل!!!

ما شأن القضاء والقدر بإقامة الدول والحضارات.

القضاء والقدر قيمة إيمانية وركن أساسي من أركان الايمان منذ ان نزل القرآن. ورغم ذلك أقام الاسلام أكبر حضارة انسانية على ظهر الارض. فلِمَ لمْ يمنع الايمان بالقضاء والقدر المسلمين الاوائل من التطور؟!!

ثم بعد كل هذا العويل لم يخبرنا الرجل بطريقة علمية او حتى منطقية واحدة، كيف تسبب الايمان بالقضاء والقدر في تأخرنا عن ركب الحضارة!!

ان تأخرنا عن الحضارة والتقدم مما جنته أيدينا ولا شأن للقرآن به. بل ان بعدنا عن القرآن هو السبب الاول في تخلفنا. لان القرآن يدعو الى التدبر في الكون والتعلم من الطبيعة ونحن نترك هذا لغيرنا. والقرآن يدعو الى العمل و اتقانه ونحن لا نعمل وان عملنا لا نتقن. ان الملحدين بدلا من البحث عن السبب الحقيقي في تخلفنا، اخذوا اسهل الدروب، وحمّلوا الاسلام إثم جنايتنا والاسلام برئ من كل هذا.

## بربريات القرآن

وهذا عنوان غريب جدا ينمُّ عن نفس شديدة الحقد والغضب. يقول صاحبها في بدايته:

(اعدى اعداء القران الثقة بالنفس والايمان بالذات. تلك جريمة لا تغتفر. "يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا، قل: لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم"، ليس المقاتلون هم الذين قتلوا المشركين في حربهم معهم، انما الذي قتلهم هو الله وحده. بل حتى الرمي لم يكن النبي هو الذي رمى بل الرامي هو الله وحده: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ"، وحتى الافكار والخواطر التي تحيك في صدري وصدرك لا سلطان لنا عليها: "واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه").

لا ادري في الحقيقة ما علاقة هذه الآيات بالثقة بالنفس والايمان بالذات. انه فهم معوجٌّ للآيات. ثم ما بال الرجل يأتي بآيات تهدُّ عمله الذي تعب فيه وسهر فيه الليالي؟

لو كنت مكان الرجل لما استشهدت بهذه الآية في كتابي ابدا: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ"([[78]](#footnote-78))

أَلَّفَ الرجل كتابه الاسطوري هذا ليثبت ان القرآن كلام محمد ولا علاقة له بالسماء. ورغم ذلك يأتي بهذه الآية التي هي من الآيات التي تدل صراحة على ان القرآن ليس من تأليف النبي عليه الصلاة والسلام.

هل يُعقل ان يؤلف رجلٌ ما، كتابا، و ينسب فيه أفضاله وأعماله الجليلة للغير؟ هذا غير منطقي ومخالفٌ للعقل.

لو كان القرآن من تأليف محمد لنسب محمد فضل النصر لنفسه. لكن القرآن ينسب الفضل الى الله. هذا يعني حقا ان القرآن ليس من تأليف النبي. وهذا يدحض كل ما جاء في كتاب الملحد من ترهات.

أي غباء ساق الرجل لاقحام هذه الاية في كتابه!!!

اما فيما يختص بزعمه من ان القرآن أعدى أعداء الثقة بالنفس فأقول له: اقرأ الحديث الذي يقول: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك وإستعن بالله، ولا تعجز"([[79]](#footnote-79))

فلا أرى دعوة الى الثقة بالنفس اكثر من قوله صلى الله عليه وسلم للمؤمن "ولا تعجز" وهذا ردٌّ كاف على تلك الهرطقة.

ثم يقول: (المشرك في القرآن ليس انسانا. انه دون ذلك بكثير. " إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا"، وكم كنت أربأ بالقران ان يصف المشرك بأنه "نجس" وهي كلمة نابية كنت اعتقد ان القرآن اكبر واسمى من ان يذكرها بين مفرداته .... انا استحي ان الفظ هذه الكلمة وارفض ان ترد في كتاباتي رفضا قاطعا، فكيف اطلقها على انسان مثلي له كل الحق في ممارسة حريته في التفكر و ابداء الرأي مهما خالفني هذا الرأي .... لقد كان من الممكن جدا استبدال هذه الكلمة باخرى اكثر دلالة منها واقل صفاقة).

تعالى الله علوا كبيرا.

اولا اذا كنت لا تؤمن بالقرآن ولا برب القرآن، فما معنى "كنت أربأ به، أي بالقرآن"؟

انت لا تؤمن بالقرآن سواء كانت هذه الكلمة موجودة بين مفرداته ام لا، فلم الكذب؟

اما كيف تطلقها على انسان مثلك، فهو كلام مضحكٌ ينمُّ عن قلة فهم. ان من أطلقها ليس انسانا على انسان بل هو الله خالق الانسان، فهو سبحانه وتعالى لم يطلق الكلمة على ندٍّ مساوٍ له. وهو ليس كمثله شيء.

ثم ان الله يعني ما يقول. فاذا قال المشرك "نجس" فهذا يعني ان المشرك نجس فعلا ولا مجال هنا لكلمة اقل صفاقة.

ثم ان الكلمة – وهذا هو المهم – حسب ما فهمت ليست للشتم وانما هي صفة.

اما اذ ظننت انت انها شتمٌ فذاك شأنك، ورغم هذا اقول لك ان من يقول عن الوضوء وغسل الجنابة "انها افعال لا معنى لها" – كما يقول الملاحدة - فهو نجس، و "النجس" هنا شتم وهذا من عندي. ثم لو كان كلمة "نجس" مقصود بها الشتم لما أطلقها الله على الخنزير وهو حيوان من الحيوانات. هل تظن ان الله يشتم حيوانا؟

ثم يتكلم عن الاستخفاف بالمرأة والنظر اليها على انها مجرد حرث للرجل اي مزرعة: "نسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ"([[80]](#footnote-80))

بالله عليكم هل هذه الآية قالت ان المرأة مجرد حرث للرجل؟

وليس كالاسلام من اعطى للمرأة حقوقها. فالنساء شقائق الرجال كما يقول الحديث الشريف([[81]](#footnote-81)) والشقيق هو الند. ففي اي شريعة او قانون كانت المرأة ندّاً للرجل سوى في شريعة الاسلام؟

ان افتراءات الملحدين في هذا المجال لا تقوم على قدمين فنقول لهم: أريحونا وأريحوا انفسكم..

ومن البربريات في رأيه: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"([[82]](#footnote-82))

هل يدرك الرجل الحِكَم الكامنة وراء آيات القرآن؟

الله هو خالق الناس وهو العالم باسرار النفس البشرية و هو المدرك لعلاج النفوس.

السرقة للحاجة معفيّة من هذا العقاب وبالتالي فان السرقة المعنيّة هي السرقة المرضية والله قرر شفاءها بالقطع وهو سبحانه وتعالى ادرى بما يُصلِح خَلْقَه.

و السرقة جريمة خطيرة من الناحية الاخلاقية لانها اعتداء على حقوق الغير. وهي استهتار بمبدأ الكد والاجتهاد والعمل والكسب وهو مبدأ اساسي من مبادئ الاسلام، ومبدأ ضروري لإعمار الارض الذي هو وظيفة الانسان الثانية التي أوجده الله لتحقيقها بعد العبادة. وبالتالي كانت العقوبة كبيرة لردع الناس ولتنبيههم الى ضرورة العمل. ألم يشكو الرجل مُر الشكوى من الترنح في الذكر. فههنا هذه الآية تبيّن له بجلاء ان الاسلام ليس دين تواكل ولا ترنح ولا رقص. فلو كان كذلك لما قرر هذه العقوبة كحد للسرقة بل ما كان ليقرر عقابا للسارق اصلا لان كل المسلمين كانوا ليكونوا لصوصا.

ومن ناحية ثالثة فإن السرقة في كثير من الاحيان تلازمها اعمال عنف تؤدي الى الاذى الجسيم وحتى القتل وهي افعال متكررة نشاهدها كل يوم، فلو كانت هذه العقوبة مطبّقة على واقنعنا لاختفت كثير من تلك الجرائم.

اما قتل اسرى الحرب فإن الآية الكريمة: " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"([[83]](#footnote-83))، فهي بيّنة في ان قتل الاسرى ليس هو الخيار الابدي و الوحيد للاسلام. لو قالت الآية : "ما كان لنبي ان يكون له اسرى" لحق للرجل ان يقول ما قال ولكن باقي الآية تدل بصراحة ووضوح ان منع إبقاء الاسرى له أسباب. فإن إنتفت تلك الاسباب اصبح إبقاء الاسرى ممكنا ولربما واجبا.

اما عقوبة الزنا من جلد ورجم فهي ايضا كعقوبة السرقة لها حِكَمها التي نعلمها و ربما حِكَم لا نعلمها.

فالزنا جريمة اخلاقية كبيرة خاصة من المتزوجين. فهل من العدل ان تزني المرأة وتنجب اطفالا غرباء ويشقى الزوج ويكد ويتعب ويلاقي ما يلاقي في سبيل الرزق وفي تربيتهم وهو لا يدري انه يربي اطفالا ليس من صلبه؟

هل من العدل ان يزرع رجل بذره في رحم إمرأة رجل آخر مثله و يجعلها تحبل منه ويتعب الرجل المخدوع في تربية ابناء الخائن بينما يعيش الاخير مرتاح البال و الضمير؟

هل من حق اي رجل ان يدنس شرف اسرة من الاسر بالاتصال ببنتهم دون رضاهم؟

هل من حق اي بنت ان تدنس شرف والدها واسرتها لمجرد اشباع رغبتها الحيوانية؟

والزنا جريمة ضد كل المجتمع. فالزاني له إستعداد بأن يزني بأي إمرأة من المجتمع وكذلك الزانية على إستعداد للزنا مع أي رجل من المجتمع. وبالتالي فإن الرجل الزاني هو كمن زنا بجميع نساء المجتمع والمرأة الزانية كمن زنت مع كل رجال المجتمع. فالجريمة هنا خيانة ضد المجتمع كله.

وفوق كل هذا فإن اضرار الزنا على المجتمع كبيرة وكثيرة اقلها انتشار الامراض بمختلف انواعها وما يستتبع ذلك من توهين القوة البشرية في الدولة وصرف المبالغ الطائلة على العلاج.

ان الجلد والرجم هما عقوبات مناسبة ولا داعي للعواء والكلام عن حقوق الانسان وغير ذلك من الترهات التي هي في حقيقتها لها اغراض اخرى غير المعلنة تحت اسم حقوق الانسان.

ومن اغرب ما وضعه الرجل ضمن البربريات "الطلاق الثلاث". " لطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[[84]](#footnote-84)

ولا ادري اين البربرية هنا؟ فالرجل لم يتكرم بتوضيحها لنا

ماذا كان يريد حقا؟ الا يكون هناك طلاق اصلا؟

ام ان يكون الطلاق مرتين ولا داع للثالثة؟

ام كان يريده اكثر من ثلاثة او ربما بلا عدد؟!

كلام لمجرد الكلام. هذا ديدن الرجل!!

والحقيقة ان آية الطلاق هذه من الآيات الأروع في القرآن لفظا ومعنى. بل ومن الآيات الدالة بوضوح ان القرآن ليس كلاما بشريا.

هذه الآية و آيات المواريث ما كان لبشر ان يفكر فيها بهذا النظام المدهش وهذه الدقة الفائقة مهما أوتي من عقل. فإنها جميعها تدل على انها من عند إله حكيم.

## الله في القرآن

تكلم في هذا الفصل عن الله. ويقول في مقدمته: (الانسان لا يستطيع ان يعيش بلا معنى. بلا اسطورة تعطي لحياته معنى. ان اسطورة الاساطير هي الايمان بالله، او الآلهة. فمع ان احدا لم ير الله. ومع ان العقل عاجز عن اثبات وجوده او نفيه، ناهيك بالعلم الذي لا يتعرض لله إثباتا ولا نفيا، لان ذلك ليس من اختصاصه، مع ذلك فإننا جميعا نسلّم بوجود الله تسليما اعمى. بل نؤكد ان وجوده هو احدى البديهيات التي لا تحتاج الى دليل. ان فكرة الله فكرة قديمة قدم الانسان. ولكن هذا القدم لا يدل على شيء. بل لئن دلّ على شيء فانما يدل على حاجة الانسان الى السند والامل والمعنى).

العقل ليس عاجزا عن اثبات وجود الله، اللهم الا اذا كان عقلا واهنا ضعيفا، ناقصا غير مكتمل النمو.

العقل قادر على اثبات وجود الله بابسط مما يتخيل الملحدون.

على العقل ان يسأل سؤالا واحدا فقط ليعرف وجود الله. الامر ليس معقدا وليس صعبا كما يتوهم البعض.

"من أين جئت انا الى الدنيا؟"

هذا السؤال اجابته واضحة ولا تحتاج الى كثير عناء لمعرفتها.

لابد لي من خالق خلقني.

هل يمكن ان تكون الاجابة غير هذا؟ محال.

لقد تجاوز الناس زمان التخلف ذاك الذي كان يظن فيه البعض انه وجد صدفة.

القول بالوجود صدفة هو قول ساقط لا يصدر عن عقل ابدا. هو عبث بالعقل وحطّ لقدره. اني اتعجب كيف كان يعتقد البعض في هذه الفكرة الفطيرة الفجّة؟!!

هل ما زال يوجد في عالمنا المعاصر من يؤمن بهذه الفكرة؟

لا ادري حقا. ربما يوجد، اذ لابد من وجود ناقصي الاهلية العقلية في كل زمان.

قصة: "كان يسير مع صديقه الملحد في مكان خال. فجأة وجدا امامهما طاولة جميلة. فسأل زميله الملحد: ترى من الذي صنع هذه الطاولة الرائعة؟

فقال له الملحد: لابد انه نجار ماهر.

فسأله: هل تعتقد انه ماهر؟

فقال الملحد دون ان يشعر: نعم. لابد ان يكون ماهرا وفنانا. انها طاولة في منتهى الروعة والجمال. بل هي قطعة فنية.

فقال: انا اشكّ في ذلك.

سأله الملحد في تعجب: وما الذي يجعلك تشكّ في ذلك؟

فقال: ربما تكون الطاولة ليست من صنع احد بل هي وجدت صدفة.

فقال الملحد دون ان يشعر وهو يحدق في الطاولة: هل جننت؟ هذا مستحيل.

فضحك صاحبنا وقال: اذا كانت الطاولة البسيطة هذه والتي تتكون فقط من خمسة او ستة قطع خشبية بسيطة لا يمكن ان توجد صدفة، فكيف تؤمن يا صديقي بان هذا الكون الهائل المعقد، وجد صدفة بلا خالق؟ وان هذا المخلوق المبدع المسمى بالانسان وجد صدفة؟"

لن اطيل في الكلام عن الوجود صدفة فهو كلام فارغ لا يستحق الالتفات اليه وقد عفا عليه الدهر ولم يعد محسوبا ضمن الفكر الانساني.

فالصدفة نفسها لا شيء ولا يعقل ان يخلق اللا شيء شيئا.

من هنا ندرك ان اثبات وجود الخالق ليس صعبا. واذا كان صاحبنا يظن ان العقل عاجز عن ذلك، فذلك لان عقله لم يبلغ الرشد بعد.

ولما عجز بعض الملحدين عن نفي وجود الخالق، ذهبوا الى الاعتراف بوجوده لكن شيطانهم هداهم الى حيلة اخرى ليخرجوا بها من التكاليف الإلهية، فقالوا: نؤمن بوجود خالق لكننا لا نؤمن بانه هو الذي ارسل الرسل وانزل الكتب!!!

وذهب بعضهم الى سؤال غريب: "نؤمن بان لكل شيء خالق، فمن خلق الخالق؟"

نقول للذين اعترفوا بوجود الخالق ونكروا انه هو الله الذي ارسل الرسل، نقول لهم:

اذا وجدتَ لُقطةً على الارض، ولنقل محفظة نقود سوداء بداخلها ورقة من فئة المئة جنيه، ووضعتها في جيبك. ثم ظهر شخص و سألك: هل رأيت محفظة نقود هنا؟

ستقول له: صِفها لي.

ان قال لك: انها سوداء اللون.

ستسأله: ما بداخلها؟

فإن قال: داخلها ورقة من فئة مئة جنيه.

هل ستشك بعدها في انه صاحب المحفظة؟

لا. لن تشك، الا اذا كنت لصا تريد سرقة تلك النقود.

الانسان عبر العصور آمن بوجود إله بل وآلهة متعددة وعبدها. فهل من بين كل هذه الآلهة هناك إلهٌ قدّم نفسه للناس على انه خالقهم وخالق الكون، سوى الله؟

هل من بين كل تلك الآلهة هناك إله عَرّف بنفسه سوى الله؟

هل هناك إله أنزل الكتب وارسل الرسل سوى الله؟

هل هناك إله قدم الحجج والبراهين على انه الخالق سوى الله؟

لا. لا يوجد.

لا اللات ولا العزى و لا هبل ولا بوذا ولا آمون ولا نسرا، ولا أي إله آخر – غير الله – لم يقدم نفسه بالادلة والبراهين على انه الخالق. الله سبحانه وتعالى فقط هو من فعل ذلك.

فما الذي يجعل بعض الملحدين يزعمون انهم يؤمنون بوجود الخالق لكنهم يشكّون في انه هو الله؟ ان هؤلاء هم كالرجل الذي يريد سرقة المحفظة. انهم لصوص يا سادتي!!

اما الذين يسألون: من خلق الخالق، فقد اجبنا عليهم في مكان آخر في هذا الكتاب، ونزيد في ذلك: هل سؤالهم هذا منطقي؟ هم يظنون انهم مناصرو العقل، فهل سؤالهم معقول؟

انه سؤال لا علاقة له بالعقل من قريب او بعيد. لانك لو قلت: ان هذا خلق هذا و هذا خلقه ذاك و .. فلن تصل الا الى نتيجة واحدة حتمية لا مفرّ منها وهي انه لابد في النهاية من خالقٍ لم يخلقه احد. هذا لا مفر منه. اذ ليس من المعقول ان تستمر سلسلة الخالقين بلا نهاية. ومن يقول بسلسلة لا نهائية للخالقين فهو كمن يقول بالوجود صدفة وكلاهما خارج المنطق والعقل.

نعود الى كتاب صاحبنا اذ يقول: (ان الناس لم يتنازعوا يوما ولم يرتكبوا المجازر والاضطهادات ولم ينزلوا يوما الوان العذاب في المنكرين لوجود الشمس. فان كل انسان في مقدوره ان يرى الشمس بلا تلقين ولا تعليم. حتى الاعمى يدرك وجود الشمس والخدمات الجليلة التي تسديها للانسان والارض التي يعيش عليها الانسان. لو كان وجود الله واضحا وضوح الشمس لا يقبل الجدل، فلم الخوض في وجوده وعدم وجوده للبرهنة في نهاية المطاف على حقيقة وجوده؟ فلا برهان الا في حال الشك. فما لم يكن شك، لم يكن برهان لازالة الشك).

وهل تنازع الناس عبر التاريخ وارتكبوا المجازر والاضطهادات في المنكرين لوجود الله؟

ربما حدث شيء من ذلك لكنه ابدا لا يرتقي لمستوى المجازر. ان المجازر حدثت ليس لمنكري وجود الله. بل حدثت هذه المجازر بين المؤمنين بالآلهة. كل منهم يريد ان يسُودَ سلطان الإله الذي يؤمن به.

منكرو وجود الإله فئةٌ قليلة في كل زمان ومكان. ولم تكن لهم قوة تذكر في التاريخ. حتى الاتحاد السوفيتي تلك القوة العظمى التي اسسها الملحدون، لم تكن في حقيقتها دولة منكرين. كان قادتها فقط من شياطين الإلحاد بينما بقى مجموع الشعب على ايمانه بالله. لم يزعزع ايمانهم سطوة الحكم وجهاز الاستخبارات المستفحل. احتفظ الناس بدياناتهم سرا وعلنا رغم ما لاقوه من صنوف العذاب و التنكيل. وفي النهاية هوى الباطل الإلحادي ولم يعمر طويلا. ليسجل التاريخ انه كان اقصر الامبراطوريات عمرا في التاريخ البشري. ذلك لان الإلحاد شذوذ فكري لا يمكنه ان يعيش طويلا.

ثم هو يفتري بقوله ان وجود الله ليس واضحا كوجود الشمس!!!

ان كانت الشمس واضحة يدرك وجودها حتى الاعمى، فان وجود الله الذي خلق الشمس واضحٌ وجليّ في هذه الشمس ذاتها وفي الانسان والكون.

وفي اضطراب كبير – عهدناه لدى الملحدين – يقول: (لا دليل على وجود الله. ولا حاجة الى الله. وكل شيء في هذا العالم يجري وكأن الله مجرد اضافة ابتكرها العقل لسد ما يراه في العالم من ثغرات وما يصادفه من خيبات الامل)

ثم انظر اليه يقول: (لكن ذلك كله لا يعني – واقولها للتاريخ وابراءً للذمة ورغم ما شطح بي القلم به بعيدا عن الجادة – ان الله غير موجود. ان كل ما يعنيه ان جميع الادلة التي وضعت لاثبات وجود الله مليئة بالثغرات والمطبات والمغالطات والتلفيقات والقفزات والبهلوانيات واعمال الخفّة والمصادرة على المطلوب).

انا لم ار من قبل فكرا مشوشا كهذا!!

يقول: (يعتقد الكثيرون ان حُجة المنكرين لوجود الله تتلخص في عدم رؤيتهم له وهذا من افدح الخطأ. فعدم رؤية الشيء ليس حجة على عدم وجوده. ولا يقول بذلك عاقل. ففي هذا العالم اشياء لا حصر لها ليس من الممكن رؤيتها، كامواج الراديو وامواج الصوت اللا سلكي والاشعة فوق البنفسجية وما تحت الحمراء والميكروبات و .. ومع ذلك فان احدا لا ينكر وجودها ... ان انكار وجود الله ليس ليس على مثل هذه الدرجة من البساطة والا كان المنكرون صبية اغرارا او مجموعة من التافهين المهرجين العابثين. فالذي ينكر وجود الله لا ينكره فقط لانه لا يراه. بل هذا آخر ما يخطر بباله. انه انما ينكر وجوده: لانه لا يستطيع ان يتصوره. لانه لا يستطيع ان يفهمه. لانه لا يجد في اي مكان في هذا العالم شاهدا على عقله او على تدخله في هذا العالم او على اثاره او على حبه. لان كل شيء في هذا العالم يجري و كأنه متروك لذاته، ليس محكموما بغير قوى الطبيعة وقوانين عمل الاشياء)!!

هل هذه هي حجة المنكرين لوجود الله؟!!

سبحان الله!

فإن كانت هذه حجتهم فالصبية الاغرار خير منهم. ويصدُقُ عليهم ان يكونوا مجموعة من التافهين المهرجين العابثين.

هل تنكر الشيء لانك لا تتصوره ولا تفهمه؟

هل نحن نستطيع ان نتصور ونفهم كل ما رأيناه بأعيننا دعك مما لم نره؟

هل رأى المنكرون الروح؟ هل تصوروها وهل فهموها؟

هل يؤمنون بها ام لا يصدقون ان هناك روحا؟

بلى هم يؤمنون بالروح رغم انهم لا يستطيعون تصورها ولا يجدون لها فهما.

ثم سؤال آخر: هل كل تصوراتنا للاشياء صحيحة؟

هذا الذي نراه احمر اللون يراه حيوان آخر رماديا. وما نراه صغيرا يراه حيوان آخر ضخما. فهل تصورنا نحن هو الصحيح ام تصور تلك الحيوانات؟

ما تراه ماءً تجده سرابا. أليس هذا هو عقلنا البشري؟

ان كل حجج المنكرين هي حجج واهية ساقوها بلا فهم وهي حجج لا ترتقي الى مستوى البراهين والأدلّة. انها حجج فقط.

والرجل نفسه يقول: (وللحقيقة اقول ان مسئولية الانكار اكبركثيرا جدا من مسئولية الاثبات. فاذا كان العقل عاجزا عن اثبات وجود الله فإنه اكثر عجزا عن اثبات نفيه)!!!

رغم ان العقل السوّي لا يشك في وجود الله مطلقا الا اني اسأل الرجل: ان كنت عاجزا عن اثبات او نفي وجود الله فلم عَجِلت وكتبتَ كتابك هذا؟

أليس هذا خرقا لقواعد العقل والعلم اللذين تتشدق بهما؟!!

انا عرفت سبب هذه العجلة. سبب هذا التهور الكبير. سبب هذا الغضب الكبير من الله، حتى الذهاب الى محاولة نفي وجوده سبحانه وتعالى.

وإليكم سادتي ما يقول لتعرفوا، بل لتزدادوا معرفة، فقد عرفتم من قبل.

يقول: (ان الله الذي يؤمن به هذا الانسان لم يقدم له شيئا في ايام محنته. انه لم يُلبِّ له مطلبا. ولم يقض حاجة. ولم يسدّ له جوعة. ولم يشف مرضا. بل تركه يتلوى في الالم والشقاء من غير ان يحرك ساكنا).

تلك هي عقدة الرجل، ما انفك يرددها من اول كتابه الى آخره. إن الله لم يستجب له تضرعاته ولم يسدد ديونه!!!

هذا هو سبب هذا الكتاب. فهل تصدقون؟!!

## صفات الله في القرآن

يقول في صدر هذا الباب:

(الله في القرآن من المسلمات التي لا يمكن للمؤمن ان يتخلى عنها. لذلك لا يهتم القرآن بإثبات وجوده بمقدار اهتمامه بالوحدانية ونفي الشريك عنه).

وهذه حقيقة لان المؤمن لا يحتاج الى اثبات وجود الله. فالله موجود لانه من اوجد المؤمن وبالتالي لا يحتاج المؤمن الى اي دليل اخر لاثبات وجوده.

ما يحتاجه المؤمن فعلا هو معرفة ان الله إله واحد لا شريك له وانه يتصف بصفات الكمال. وهذا ما اوضحه القرآن. ولا ارى مأخذا في هذا.

(والله في القرآن متصف بجميع صفات الكمال. منزه عن جميع صفات النقصان).

وهل الله الذي خلق هذا الكون الهائل بقوانينه الدقيقة الرائعة يمكن ان يكون الا كاملا منزّها عن اي نقص؟!!!

ويقول عن صفات الله: (وهي كما ترون صفات ايجابية احادية الجانب لا تكفي وحدها لتفسر كل شيء في هذا العالم .... لذلك ينبغي ان يضاف اليها صفات اخرى مضادة لها ليستقيم وجود العالم بجانبيه الطالح والصالح. والخبيث والطيب .... ان الصفات الايجابية في القرآن واضحة وضوح الشمس لا تكاد تخلو منها صفحة من صحفاته. لكن القرآن ينسب الى الله صفات اخرى مضادة لهذه الصفات وقف المفسرون والمتكلمون امامها مكتوفي الايدي لا يقدرون حيالها على شيء الا الترقيع والثرثرة كعادتهم)

ثم يقول: (فإذا قال الله في القران مثلا: " أمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" فمعنى ذلك بلا لف ودوران انه كان لا يعلم ثم علم)!!

تعالى الله علوا كبيرا.

لن ارد على هذا الافتراء بكلام فلسفي عن الايمان لا يفهمه الا المؤمن. هذا الرجل وكافة الملحدين لن يفهموا اي كلام عن الايمان. كما لم يفهم ابوجهل اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان واضحا عند ابي بكر الصديق كقرص الشمس.

سأرد بالوقائع التاريخية الثابتة التي لا يتطرق اليها الشك دون الخوض في كلام فلسفي.

هل تذكرون بدرا وما جرى فيها؟

لم تكن بدر معركة فحسب، بل كان فُرْقَانا فرّق الله به بين الحق والباطل وبين الايمان والكفر. أعطى الله يومها درسا للإنسانية سيبقى أثره الى يوم القيامة. في ذلك اليوم بيّن الله للناس انه على كل شيء قدير وانه بكل شيء عليم. وانه سبحانه وتعالى فعّال لما يريد. بيّن للناس ان الامر بيد الله اولا واخيرا وليس بيد احد غيره. وبيّن ان الانسان يمكن ان يمتلك كل ادوات انجاز العمل بنجاح وتفوق لكن ارادة الله يمكن ان تحوِّل كل ذلك الى فشلٍ ذريع.

وسأظل أذكر بدرا في كل وقت وحين لأن عِبرَها لا تنتهي.

حينما خرج ثلاثمائة رجل من المسلمين يومها يريدون عير ابي سفيان، خرج من مكة الف مشرك وكافر يريدون الحرب والقتال.

حينما أفلتَ ابوسفيان واراد المسلمون العودة الى ديارهم – وكانت اخبار خروج قريش لقتالهم قد واتتهم – أبى الله عودة المسلمين دون قتال.

قال تعالى: " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"([[85]](#footnote-85))

فهل الله سبحانه وتعالى ساق ثلاثمائة مسلم - خرجوا لا يريدون الا قافلة تجارية – الى الحرب وهو – سبحانه وتعالى – لا يعلم نتيجة المعركة مسبقا؟

لو اراد المسلمون يومها العودة الى المدينة دون حرب لاستطاعوا العودة. اي انهم لم يكونوا مضطرين لخوض المعركة. ولكن أمر الله كان الحرب.

ان اي قائد جيش – مثل جيش المسلمين يومذاك – مهما بلغ من الذكاء والحنكة والمعرفة بتقنيات الحرب ما كان ليورّط جيشه في معركة كتلك. بل وكان ليبحث عن كل مخرج محتمل للهروب من التورط في الحرب. والمسلمون حقا ارادوا الا يواجهوا قريشا وهم على تلك الحال. لكن الله امرهم.

لا يشك عاقل في ان الله كان عالما بما سيحدث. بل انه سبحانه وتعالى هو من قدّر وكتب ما سيحدث. وقد حدث ونفذ امر الله وهُزِمت قريش وكان القُليب مصير سادتها من الملاحدة.

ثم واقعة تاريخية اخرى:

قال تعالى: " قَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا"([[86]](#footnote-86))

قصة هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلّغ اصحابه انه رأى في الرؤيا انهم دخلوا مكة وطافوا بالكعبة. فلما جاءت الحديبية و لم يدخلوها، طعن المنافقون في رؤيا رسول الله. فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية. ليس وعدا فحسب، بل تأكيدأ منه سبحانه وتعالى للمسلمين بانهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين. وقد دخلوا فعلا.

فهل الله كان يَعِد ويؤكّد بما لا يعلم؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

لو كان الرجل صاحب عقل وعلم حقا لترك الكلام الفلسفي الاعرج ولجاءنا بحقائق ومواقف فعلية تثبت ادعاءه. لكنه لم يجد ولن يجد. فلا يوجد في القرآن آية واحدة تدل على ان الله قطع وعدا دنيويا على نفسه ولم ينفذه.

وإن الله – من قبل – انزل على أبي لهب وزوجته انهما من اصحاب النار. و اصبحت سورة "المسد" قرآنا يتلوه المسلمون: " سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"([[87]](#footnote-87)) وسمعها ابولهب ولم يؤمن. وسمعته زوجته ام جميل ولم تؤمن. لو فقط أسلما نفاقا كما يفعل المنافقون لكان ذلك مدعاة للطعن في صدق رسول الله ولربما أدى إلى إنهيار الدعوة الإسلامية. والمشركون يومذاك يبحثون عن أي نقطة ضَعْف ليضربوا منها الاسلام فعزّ عليهم ان يجدوا. لو كان القرآن من عند محمد فهل كان ليقدم لهم السيف الذي يستخدمونه في نحر دعوته؟؟ وهل لو كان الله لا يعلم – كما يدعي هذا الكافر – كان لينزل مثل هذه السورة ليؤكد بها على ان فلانا سيموت على الكفر وسيدخل النار؟!!

لا شك ان هذه أدلّة ووقائع تاريخية ثابتة تهزم إدعاءات المرجفين والملحدين.

و كل كلام الملحدين في هذا الشأن ما هو إلا هراء فلسفي. والفلسفة لا ترى الا بعين واحدة.

كما ان هناك بلاغة لا تكون الا في القرآن الكريم، ودقّةً لا تجدها ابدا في كتب البشر مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة والحكمة وذلك في خاتمة الآية الكريمة: " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"

ففي نهاية هذه الآية يقول المولى عز وجل: ويقطع دابر الكافرين!!

لم يقل الله "دابر المشركين" رغم ان أغلب جيش قريش كانوا من المشركين الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى كاللات والعزى ومناة وهبل.

وإنما قال تعالى "دابر الكافرين" وهم امثال ابي جهل. هم الملحدون الذين لا يؤمنون بأي إله.

إن هذه الآية لتؤكد ان درس بدر هو درسٌ إيماني في المقام الأول. ليبيّن الله للذين إستهزأوا بقصة الإسراء قدرته سبحانه وتعالى على ارض الواقع. ولا أشك أن اصحاب القليب آمنوا يومها بقدرة الله ولكن حيث لا ينفعهم إيمانهم"

فقد ورد أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم"([[88]](#footnote-88))

يا للقرآن وبلاغته!! "ويقطع دابر الكافرين"!!

بلى والله وقد قطع دابرهم إلى يوم القيامة ولأجل ذلك لن تقوم للملحدين دولةٌ ذات شأن.

## الله وإبليس ...

إني أربأ بنفسي ان اكتب العنوان كما كتبه هو. فإذا كان إلحاده قد جرده من ثياب التقوى والورع وتركه عاريا بكل سوءاته فإنّي لست مثله والحمد والمِنّة لله.

يقول الملحد في هذا الباب: (هناك في القرآن صفات تنسب الى الله وأحرى بها في الحقيقة ان تنسب الى ابليس. بحيث يرى المرء تداخلا بين الله وابليس. هل تصدقون ان الإضلال الذي هو صفة رئيسة ثابتة من صفات ابليس ينسب في القرآن الى الله بمقدار ما ينسب الى ابليس؟)

ثم يأتي بآيات من القرآن يضعها في مواجهة بعض كما لو ان هذه تعادل تلك. ومنها:

"ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" ... "ولا تتبع الهوى فيضلك – الشيطان – عن سبيل الله"

فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء" .... "كتب عليه من تولاه – الشيطان – فإنه يضله"

"ومن يضلل الله فما له من هاد" .... "ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا"

"أتريدون ان تهدوا من أضل الله" .... "ولقد أضل – الشيطان – منكم جبلا كثيرا"

ويتساءل: (والآن من المضل؟ الله أم ابليس؟ وما الفرق بينهما؟ انا حائر. فهل يشاركني الاخرون في حيرتي؟ .... فاذا كان الاضلال و التزيين والاغواء والفتنة صفات شريرة مشتركة بين الله وابليس بنص القران، فما الفرق اذا بين الله وابليس؟)

اولا: انا لا اشاركك في حيرتك، وكل المؤمنين بلا شك مثلي.

ذلك لاننا نعلم من خلال القرآن إن الله هو الهادي والمُضِل، وهو سبحانه وتعالى يهدي الطيبين الى الايمان والعمل الصالح ويدخلهم الجنة. لأن الجنة لا يدخلها الا طيب. و يضل الخبثاء الى الشرك والكفر ويدخلهم النار لان النار لا يدخلها الا خبيث.

والله سبحانه وتعالى – وهو الخالق – يعرف خَلْقَه معرفة تامة. يعرف منهم الطيب والخبيث.

ألم يقل سبحانه وتعالى: " أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"([[89]](#footnote-89)) أي ان الله لا يضل الا من كان خبيث الطوية وهو عالم بهم.

والاية الاولى التي ساقها الرجل هنا تقول: "ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" أي ان الله لا يضل من كان في قلبه خير ولا يهدي من كان قلبه كافرا. ولا شك ان الله مطّلعٌ على قلوب عباده.

سأترك هذا الكلام الفلسفي جانباً و آتيكم بدليل واقعي.

هذا الملحد نفسه الذي نرد على ترهاته في هذا الكتاب، ألم يكن عابدا متضرعا الى الله آناء الليل واطراف النهار؟ ألم يقْضِ جلّ عمره المديد في تحصيل العلم الشرعي وتدريس القرآن؟ فمن الذي هَوىَ به من علياء الايمان المنير الى قاع الكفر المظلم؟

الله هو الذي أضله.

فهل اضله الله دون سبب؟ بالطبع لا. لان الله ليس ظالما.

لقد قال الرجل بملء فمه انه كان يشك في وجود الله منذ ان كان صبيا. وان الشك ترعرع معه وكبر لكنه كان يقمعه في داخله!!!

فههنا الدليل على ان الله لا يضل من كان قلبه مؤمنا ولا يهدي من كان قلبه كافرا.

وفي الحديث الشريف: "ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له بعمل اهل النار، وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له بعمل اهل الجنة"

لماذا؟؟!

لان الرجل يمكن ان يكون ممن يعمل عمل اهل النار في الظاهر اما في حقيقته فهو مؤمن ومخلص لله ومن ثم تظهر اعماله الحسنة للناس في اخر ايامه في الدنيا. فالرجل هنا كان مؤمنا وكان الله عالما بايمانه. اما الرجل الآخر فهو من كان كافر القلب لا يؤمن بالله لكنه يعمل بعمل اهل الجنة في الظاهر. يدعو ويتضرع ويقوم الليالي الطوال ويدرّس القرآن في المساجد. وهو في كل هذا كافر يعلم الله بكفره. فيظهر كفره في اخر عمره كهذا الملحد هنا.

وان كان من آية تدلّ على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدمها للملحدين فهي قصة شيخهم هذا. فقد إنطبق عليه حديث النبي كما لو فُصِّل على مقاسه. فآمنوا او لا تؤمنوا، هذا شأنكم.

وقد ذكرنا هذه الآيات من قبل: " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"

ان الضلال اذاً ينبع من نفس الضال اولا ثم يضله الله على رؤوس الأشهاد كما فعل بالرجل في الآية وبصاحبنا هذا "الآية الاخرى" ان صح التعبير!

كما قال الله تعالى في القرآن: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* بَلْ بَدَا لَهَم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَلإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"([[90]](#footnote-90)) وهذا فيه تأكيد على ان قلوبهم خبيثة لا ولن يجد نور الايمان اليها سبيلا.

أما إضلال الشيطان فهو تبع لمشيئة الله. فإن الشيطان لا يملك ان يضل احدا الا بأمر الله. ولو كان الشيطان يملك من الامر شيئا لما قال: "لأضلنهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين"

فالشيطان لا سلطان له الا على من أضله الله وهو – لعنه الله – لا يستطيع ان يضل من هداه الله.

والشيطان نفسه يقول يوم القيامة: " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"([[91]](#footnote-91))

ثم يقول: (وان كنتم في شك من ذلكم فدونكم هذه الآية الطويلة لتروا ما اذا كان في الامكان التفرقة بين الله وابليس، وبين الملائكة والشياطين. " وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" قولوا لي بربكم: هل يفعل الشيطان اكثر مما يفعل هذان الملكان؟ هل يفعل ابليس اكثر مما يفعل الله الذي انزل من السماء – نعم من السماء، صدقوا او لا تصدقوا – هذين الملكين بمهمة مستعجلة خاصة ذات اهداف محددة محصورة في تعليم الناس السحر. لماذا؟ للتفرقة بين المرء وزوجه وتعليم الناس ما يضرهم ولا ينفعهم. وبعد ان ينفثا فيهم روح الفساد ويقدما لهم جميع الاغراءات والمحسنات لتزيينه في نفوسهم. وبغد ان يتمكن منهم هذا الفساد يخنسان كالثعلب ثم يحذرانهم من الاتيان بهذا الفن الشيطاني. من المجرم؟ اللص ام انت الذي اغريته بالسرقة وهيأت له جميع اسبابها ففتحت له الابواب وكشفت له الخزائن ثم قلت له: اياك اياك ان تسرق شيئا)

اولا: الملكان لا يعلمان الناس السحر ولم يرسلهما الله بمهمة خاصة لتعليم الناس السحر. وليس هناك اشارة في الاية الكريم لما فهمه الرجل من قريب او بعيد. اذ لا اتصال بين الملائكة و الناس الا الانبياء الرسل وهؤلاء لا يتعاملون بالسحر. ولكن الرجل يفتري كعادته.

ثانيا ان ما يتعلمه الناس من الشياطين من سحر لن يضروا به أحدا الا اذا شاء الله ذلك. فلا داعي للصراخ والعويل. أما قوله تعالى: "ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم" ليس مقصودا به الناس وانما المقصود ان الضرر يرجع لمن يتعلم السحر لانه كُفْر وهذا بيان للناس الا يتبعوا الشياطين ويتعلموا منهم السحر.

ثالثا ان السحر هو فتنة من الفتن الكثيرة التي يمتحن الله بها الناس في الدنيا وهي كغيرها من الفتن تأخذ بألباب الكافرين ولا يلتفت اليها المؤمنون الذين اخلصوا دينهم لله.

وأما قوله: أغريته بالسرقة وهيأت له الاسباب. فنقول له: إن المؤمن لا يسرق ولو هيأت له ألف سبب وسبب.

المؤمن لا يمنعه من السرقة انه وجد الابواب مغلقة والاسباب منقطعة. إنما يمنعه من السرقة ومن كل الموبقات إيمانه بالله و إجتنابه نواهيه ورعا و خشية. فما هذا الغباء؟!!

" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ : فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "([[92]](#footnote-92))

وما السحر الا شهوة واحدة من الشهوات الكثيرة التي حُفَّتْ بها النار**.** فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثا؟!!

## الله الرحمن الرحيم

وفي هذا الباب يولول الرجل ويصرخ صُراخا يصُمّ الآذان.

يظن انه وجد ضآلته هنا. ويرى ان هذا هو المكان المناسب ليصبّ جام غضبه على الله سبحانه وتعالى علواً كبيرا.

يقول: (الغريب ان كلمة "رحمة" بمشتقاتها المختلفة قد وردت في القران 933 مرة. فاذا اضفنا اليها كلمات اخرى ذات معان قريبة من معنى الرحمة مالرأفة والحنو والمحبة والود، ليبلغ تعداد هذه الكلمات ما يزيد على الالف. وبعبارة اخرى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات القرآن من كلمة او اكثر من هذه الكلمات او امثالها. فهل استطاع كل هذا الكم من الايات التي تؤكد خصوصية العلاقة بين الله وخليفته على الارض ان يسد رمقا او يروي عطشا او يشفي مرضا او يفرج كربة او يلبي مطلبا او يقضي وطرا او يدفع ضررا او يغيث ملهوفا او يضع لقمة في فم جائع؟ لقد كتب الله على نفسه الرحمة فلو لم يكتبها هل كان ما في العالم من اللارحمة والظلم والبلاء والكوارث اكثر منه اليوم؟ ما معنى الرحمة اذا؟ لا ادري).

ان كنت لا تدري فهذا لا يعني عدم وجودها. وان كنت لا تدري – ايضا – فغيرك يدري. وقد قال الله تعالى: " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءً وأنزل في الارض جزءً واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه"([[93]](#footnote-93))

هذه الرحمة الواحدة تشمل فيما تشمل حب الوالدين لابنائهما وحب الابناء للوالدين حتى في الحيوانات وكذلك الحب بين الاخوة والاهل والاصدقاء وحب الوطن والرفق بين الناس والرفق بالحيوان وغيرها كثير لا يحصى من التراحم.

ثم ان رحمة الله لا تخطئها عين مهما كانت عينا حاسدة او ناقمة. انها – اي رحمة الله – تتجلى في كل شيء. في البحار الذاخرة والانهار الجارية وفي السحب والرياح وتعاقب الفصول و حتى في المصائب التى نصبر عليها فتزيدنا علما ومعرفة ومنعة. وفي كل نِعَم الله "وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها". ولعل أعظم نعم الله على الانسان هو نعمة الاسلام وكفى بالاسلام نعمة.

ورغم ذلك فإن الحياة الدنيا قائمة على الشقاء. أما قرأت قوله تعالى: "لا يخرجنّكما من الجنة فتشقى"

فالرحمة في الدنيا محصورة ولا ينقض هذا كونه سبحانه وتعالى رحيما.

فلو اطعم الله كل جائع وسقى كل عطشان وشفى كل مريض ولبى طلب كل طالب في الدنيا فما فائدة الاخرة؟

ثم يستمر في الولولة والصراخ بكلام انشائي لا معنى له عن انهار الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين وعن الشقاء الذي يعيش فيه الانسان خليفة الله في الارض في الدنيا و عن وعن .. معترضا على اقدار الله وتصاريفه بكلام فلسفي فارغ من اي محتوى علمي أو منطقي وبالتالي فهو كلام لا يستحق الرد عليه. وهو ببساطة شكوى وغضب وسخط لان الله لم يستجب دعواته وابتهالاته ولم يسدد دينه ولم ينقذه من ورطته التي ورّط نفسه فيها بما جنت يداه.

ولان الله لم يستجب له فهو يظن انه سبحانه وتعالى لا يستجيب لأحد ولا يعبأ بدعاء أحد.

لقد جعل الرجل نفسه معيارا يقيس عليه جميع الخلائق. وهذا لعمري هو عين ما يسمونه جنون العظمة. لكأنه يقول إن الله طالما لم يستجب لي فهو سبحانه لن يستجيب لغيره!!!

## الله قريب مجيب

ههنا ايضا ولولة وصراخ لا يجيد الرجل غيرهما.

يقول: (يصف القران الله بانه "مجيب" ... وكما لم افهم كلمة "رحمة" في القران كذلك لم افهم كلمة "مجيب" .... يحثنا الله في القرآن كثيرا على الدعاء. "ادعوني استجب لكم"، ووعدنا بالاجابة المعلقة على مشيئته: "واذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان. فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون". وعلى الخصوص اذا كان الداعي مضطرا اي في حالة ضيق شديد: "ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء" ... هل هذا صحيح؟ هل الله حقا يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء؟ .. الجواب عند الارامل والثكالى والمظلومين والملهوفين والمعتقلين في سجون اسرائيل بغير حق ... يصرخون ويولولون لكن لا مغيث ولا معين .... ما معنى الحض على الدعاء والوعد بإجابة الدعاء في القرآن؟ نبئوني بعلم ان كنتم تعلمون).

نقول بملء افواهنا: نعم ان الله يجيب المضطّر اذا دعاه وغير المضطّر. ويجيب دعوة المظلوم حتى لو كان كافرا اذا استغاث به. ولم يكن القرآن كتابا لإحصاء اعداد الذين استجاب الله دعاءهم. بل اننا نشهد كل يوم استجابة الله دعاء هذا وذاك.

ورغم هذا فإن الله اشترط شروطا لاجابة دعاء الداعين. فليس كل من دعا يستجيب الله لدعاءه.

فعن ابي هريرة ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: "الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء: "يا رب، يا رب" ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟"([[94]](#footnote-94))

فإن الله لا يستجيب لامثال هؤلاء.

كما ان الله لا يستجيب دعاء من يدعو الى قطيعة رحم او ظلم

ولا يقبل دعاء المنافقين.

اما المؤمن المخلص فإن دعوته مستجابة. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره"([[95]](#footnote-95))

فقط يقول: والله ليفعلنّ الله كذا وكذا، انه حتى لم يرفع يديه بالدعاء وانما اقسم بالله في ثقة فيحقق الله قسمه.

ثم انه حتى المؤمنين المخلصين يستجيب الله لهم بطرق عديدة. فليس طريقة اجابة الله للدعاء طريقة واحدة ولا يستطيع كائنا من كان ان يلزم الله بطريقة محددة كما يريد هذا الملحد.

فالله ادرى بما ينفع المؤمن وهو سبحانه وتعالى يستجيب بما يحقق ذلك النفع. فإن المؤمن لا يعرف ما يضره او ينفعه اكثر من الله.

وقال تعالى: "وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ \* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"([[96]](#footnote-96))

فليس كل دعاء دعا به المؤمن يمكن ان يكون له من ورائه خير الا ان يستجيب الله له بالطريقة التي تحقق النفع.

ومن الدعاء ما يصارع القدر ويدفع البلاء عن المؤمن. ويبقى قليل الايمان يظن ان الله لم يستجب له.

وافضل ما يستجيب الله به الدعاء ان يدخره للمؤمن ليوم القيامة. هناك حينما يرى المؤمن عظيم ثواب دعائه الذي لم يتحقق في الدنيا يتمنى ان لو لم يحقق الله له دعاءً واحدا في الدنيا.

واما الكلام عن الارامل والثكالى والمعتقلين والام الذي يموت طفلها وغير ذلك فهو هراء ملحد لا ايمان له بالله فيتصور الدنيا كما لو كانت دار بقاء.

إن كل من ابتلاه الله وصبر فسيرى ان شاء الله نتيجة صبره جبالا من الاجر والثواب.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبا لامر المؤمن. ان امره كله له خير. وليس ذلك لاحد الا للمؤمن. ان اصابته سراء شكر فكانت خيرا له وان اصابنه ضراء صبر فكانت خيرا له"([[97]](#footnote-97))

وحديث آخر: "ما أصاب المؤمن من هم ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله من خطاياه"([[98]](#footnote-98))

ثم يقول: (اتعرفون من ينجي الله؟ انه ينجي فقط القادر على النجاة الذي يجيد السباحة. اي الذي لا يحتاج الى تنجية احد .... ولنسلم جدلا ان سفينة كبيرة هبت الى نجدتهم فهل تستطيع انقاذ جميع الركاب الذين اقتحم الموج مركبهم فسقطوا في اشداق المحيط؟ لا يصمد الا القادرون. هؤلاء فقط تستطيع السفينة – او الله بلغة القران – انقاذهم. واما الباقون فقد غدوا طعاما للاسماك والحيتان قبل وصول النجدة اليهم. وقد ينجو منهم من ينجو وفي هذه الحالة فان المصادفة كانت وراء نجاتهم لا الله الذي ترك الباقين يسقطون من غير ان يحرك ساكنا. وحتى الاقوياء – اي الذين لا يحتاجون اليه – عرضة للغرق لولا السفينة التي ساقتها المصادفة الى مكان الحادث المشؤوم)!!!

ماذا يريد الرجل ان يقول بحديثه هذا؟

هل يمكن ان يكون حديثه هذا قائما على اي دعامات عقلية؟ هل له أي سند علمي؟ كلا. انه مجرد تهريج!

انه في المحصلة النهائية يستنكر الموت غرقا. انه لا يريد ان يموت الناس غرقا!!!

انه يريد ان ينجي الله كل من كانوا في السفينة. بل انه حتى لو نجوا جميعا انما يعيد ذلك الى الصدفة لا الى تقدير الله!!!

انه يقول في البداية ان القادرين على السباحة هم من سينجون من الغرق اعتمادا على قدرتهم وان جميع الضعفاء سيكونوا من الهلكى لانهم ضعفاء. ثم لما ادرك غباء فكرته استدرك وقال ان بعض الضعفاء سيكونون مع الناجين. وان القادرين ايضا سيكونوا مع الهلكى ان لم تأت سفينة الانقاذ. ثم لما أحس انه اصبح كالحشرة التي ولجت شبكة العنكبوت لا يجد مخرجا مما اقحم نفسه فيه، قفز قفزة هائلة في سماوات السّفه وقلّة العقل والحيلة واعاد كل شيء – الغرق والنجاة – الى الصدفة. ويا لها من صدفة!!!

انا كمؤمن اعرف منذ البدء ان الهْلْكَىَ انما ساقهم الله سوقا لهذه السفينة ليهلكوا فيها. ولم يأت الهلاك لضعفهم وانما كان لتقدير الله.

هل كل من يموتون على وجه الارض هم من الضعفاء؟ لا.

اذا، لماذا يموت الاقوياء وهم في أوج قوتهم؟

لأن الموت كتاب وأجل. فاذا جاء اجل الانسان فلن ينجو من الموت مهما بلغت قوته وعنفوانه.

هل الموت صدفة؟

رغم ان الصدفة لا معنى لها عندي، اقول: لو كان الموت صدفة او النجاة صدفة لبقى بعض اجدادنا الاقدمين الى يومنا هذا لان الصدفة لا تخطط ولا تنظم وانما هي خبط عشواء.

قال الله في القرآن: "كل وجه هالك الا هو"

وقال: "انك ميت وانهم ميتون"

وقال: "كل نفس ذائقة الموت"

وقال: "ولا يبقى الا وجه ربك ذوالجلال والاكرام"

وصدق الله العظيم.

فأين الصدفة؟ لماذا لم ينجو احد من الناس من الموت صدفة؟

لانه ليس هناك شيء اسمه الصدفة الا في خيال الملاحدة. ولان الصدفة ليس شيئا فهو لا يفعل شيئا.

لقد كان اكرم لعقل الملحد ان يؤمن بالله من ان يؤمن بالصدفة.

ثم يقول بعد ذلك كثيرا من الترهات والعويل والصراخ والهذيان مما لا يستحق الرد.

## الله خير الرازقين

واكثر سفسطته و نحيبه هو في هذا الباب!

لا شك انكم تعرفون السبب مسبقا. لان كلامه اصبح ممجوجا مكررا تشمئذّ منه النفوس والقلوب والعقول.

أكل هذا لانه دعى الله ان يسدد دينه ولم يستجب له؟!

يقول: (الله في القرآن متكفل برزق عباده .... ان الله في القرآن ياخذ على مشركي مكة انهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا .... فهل يملك الله لنا رزقا؟ ما قولكم دام فضلكم بالفقراء المعدمين من المؤمنين انفسهم؟ هل يملك الله لهم رزقا ام تركهم يطوفون هم واولادهم وازواجهم على صناديق القمامة عساهم يجدون فيها ما يمسك رمقهم؟ فاذا سألنا مفسرينا الثرثارين عن وضع هؤلاء قالوا: ان ذلك يرجع اما الى ما كسبت ايديهم او الى ابتلاء الله لهم ليرى ايهم احسن عملا؟ ومن السهل الرد عليهم بلغتهم. اي بان نكيل بالمكيال الذي كالوا لنا به. فنقول: ان الاصنام اما انها تريد ابتلاء متعبديها او انزال العقاب بهم بما كسبت ايديهم. فاذا قالوا لنا: ان هذه سفسطة. اجبناهم: فلم اذن لا تكون تلك سفسطة؟ فكلا الجوابين هما في الواقع سفسطة في سفسطة وترقيع يراد بهما انقاذ الايمان)!!

إني أسأل: ما هو مفهوم الرزق عند هذا الملحد؟

يبدو واضحا من خلال عويله انه يفهم الرزق على انه حياة الترف والدعة في القصور فحسب.

فهو يسأل: فهل يملك الله لنا رزقا؟!!

سبحان الله!!!

لقد عاش الرجل ثمانين سنة يأكل ويشرب ويلبس من رزق الله و بلغ من العمر أرذله يتقلب في نعم الله ثم يأتي في آخر عمره يسأل وهو على حافة قبره مثل هذا السؤال الخالي من كل حياء، المليء بالصفاقة وقلة الادب!!

فالفقير المعدم، مؤمنا كان او كافرا، فذلك رزقه. ومن يبحث في صناديق القمامة ويتقوت منها فذلك رزقه.

اما قول بعض المفسرين ان ضيق الرزق قد يكون مما كسبت ايدي الناس او ابتلاء من الله فهو قول لا غبار عليه ورغم ذلك اضيف: ان المؤمن التقي النقي الورع يمكن ان يكون فقيرا معدما، ليس امتحانا بل لان الله يرى ان الفقر خير له من الغنى.

ثم هو يستشهد بالآية: " إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا". واحرى بي انا ان استشهد بها وليس هو.

ثم من قال ان الغِنىَ افضل من الفقر؟

انظر الى افضل انبياء الله، موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، لقد كانوا فقراء. عاشوا وماتوا فقراء رغم انه كان بيدهم ان يكونوا اغنى اغنياء بني البشر. لو كان الغنى افضل من الفقر لما ماتوا فقراء.

هذا وقد جعل الله الناس درجات في الفقر والغنى كما جعلهم درجات في الجمال والقبح وفي العلم والجهل وغيرها ليرى كيف يعمل كل منهم فيما رزقه الله. ليجزي الذين صبروا على صبرهم ويجزي الذين شكروا على شكرهم وليجزي الذين سخطوا على سخطهم.

اما انتقاده للآية الكريمة: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" وقوله مستهزئا: (فحكمة الله وبصره اقتضيا الا يبسط الرزق لعباده كيلا يفسدوا في الارض. وهكذا فان الدنيا بالف خير، لا صراع بين البشر، ولا نزاع، ولا حروب من اجل تامين الحد الادنى – على الاقل – من الرزق الذي يكاد يمسك الرمق. كلا. لا فساد في الارض. فما نراه من بغي الناس بعضهم على بعض من اجل تحصيل لقمة العيش ليس بغيا. انه من خداع البصر والبصيرة .... والحق يقال. اني لم افهم حتى الان هذه الآية. هل كل ما نرى على الارض من فساد وافساد وظلم وعدوان ليس بغيا؟ ... هل نسي الله الحروب والمنازعات بين الافراد والدول لسلب بعضهم رزق بعض)!

تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

لو كان الرجل يعيش بين الناس حقاً. ولو لم يكن قد شيّد لنفسه بُرجا من الوهم عاش فيه. لادرك معنى هذه الآية دون عناء.

ان الله حينما قال: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ"، اعطانا امثلة كثيرة من القرآن ومن الواقع الذي نعيشه.

في القرآن: سبأ و إرم وقوم عاد وثمود هي امثلة للناس الذين بسط الله لهم الرزق فبغوا في الارض وافسدوا فيها.

في القرآن: فرعون وهامان وقارون امثلة للافراد الذين بسط الله لهم الرزق فبغوا في الارض وافسدوا فيها.

من الواقع الذي نعيشه اليوم: ان اكثر دول العالم بغيا وفسادا في الارض هي الولايات المتحدة وهي اكثر دولة بسط الله لها الرزق. ثم تاتي بعدها دول اقل منها رزقا واقل منها فسادا. لنستبين من هذه الآية الكريمة ان البغي والفساد في الارض يتناسبان تناسبا طرديا مع الغنى.

من الواقع الذي نعيشه اليوم: ان اكثر الافراد انفاقا مما رزقهم الله هم فقراء الناس رغم فقرهم.

اذهب الى اماكن تواجد المتسولين وانظر من يدخل يده في جيبه ويعطيهم ومن يسير من فوقهم كأنه لا يراهم بل وقد يسبهم ويلعنهم إن اعترضوا طريقه.

ويقول ايضا: (وما امر المجاعات التي تجتاح معظم بلدان العالم الثالث عنا ببعيد .... اننا نسمع كثيرا عن خزائن الله. "ولله خزائن السموات والارض" "وان من شيء الا عندنا خزائنه"، ولكنه اتخم به حوارييه المدللين فنسي من دونهم من اراذل القوم وسقط المتاع مثلي ومثلك).

افتراء وفوقه سفه!!

لو كان الله يعطي فقط احبابه المدللين لما كان في الانبياء والرسل فقراء. كان يحيى و عيسى عليهما السلام يلبسان الصوف. ومات سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة. وكان ينام على الحصير حتى يرى اثره على جسمه.

الامر لم يكن يحتاج كل هذا الصراخ من الرجل لو كان حقا يريد ان يعرف ما لا يعرف. لكنه يعرف وينكر. انما هو شيء في نفسه اراد الله ان يظهره له على الملأ ليسأله عنه على الملأ ان لم يتب ويرجع.

## وما النصر الا من عند الله

وفي بداية هذا الباب يفتري فرية عظيمة ويلوي عنق الاحداث والتاريخ.

يقول مستهزئا: (قاتل الله المشركين "اتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون. لا يستطيعون نصرهم". واما الله فهو وحده الذي يستطيع ذلك. هل هذا صحيح؟ فها هم المسلمون المؤمنون قد اتخذوا الله إلها لا شريك له لعلهم ينصرون. فهل استطلع نصرهم في عزوة احد او حنين؟ كلا. وذلك على عهد النبي نفسه وبحضوره. فلم يغن عنهم ذلك شيئا. فالله وما شئت من الآلهة معه لا يستطيع ان ينصر خاسرا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. انه انما ينصر المنتصر فقط. اي الذي لا حاجة به الى نصر من الله او غيره من الاصنام او البشر)!!

اما والله قد أخزاك الله وأخزى المشركين والملحدين يوم بدر.

لقد كان اهل الكفر قوة هائلة لا تحتاج الى نصر من احد – حسب فهم هذا الملحد – وكان المؤمنون قلة ضعيفة وكانوا في أمسّ الحاجة الى نصر الله. حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف حاسر الرأس يدعو الله متضرعا إليه ان ينصره. فنصره الله نصرا عزيزا.

فما بال هذا الملحد يتقافز على سنوات واحداث التاريخ؟ انهم لو وجدوا سبيلا الى مسح تلك الايام من ذاكرة التاريخ لما توانوا. لكن الله أخزاهم كما أخزى زعيمهم ابا جهل.

لقد قلنا من قبل ونقوله الآن وبعد الآن: ان الله سبحانه وتعالى جعل الاسلام خاتمة الاديان وجعل القرآن الكريم خاتمة الكتب. وانه سيبقى كتاب الله للناس الى يوم القيامة ولهذا فهو لا يهتم كثيرا بالمعجزات كالتي حدثت في الازمان الغابرة.

حدثت معجزات كثيرة في زمن النبي وشهدها اصحابه ولكن القرآن لم يوثق لها لانه كتاب مرسل لزمان العلم ولاهل العلم. وليس فيه شيء من الاساطير كما يحاول سفهاء الناس ان يقنعوا به غيرهم.

لقد ولى زمان المعجزات وجاء زمان التفكّر والتدبّر والاستنتاج والاستنباط والتجربة والمعرفة. كل هذا دعا اليه الاسلام.

فاذا كان الامر كذلك، فقد اصبح "اعقلها وتوكل" قاعدة من قواعد العمل في الاسلام.

الله سبحانه وتعالى قال: " وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ". فاذا لم تُفرِغ جهدك في الاعداد والاستعداد والاخذ بالاسباب فلا تلومنّ الا نفسك.

لقد مضى زمان كان الناس فيه يطلبون المعجزات ليؤمنوا بالله. وكان الله يستجيب لهم. اما في عصر القرآن فقد بلغ الانسان رشده واكتمل عقله وبات الاعتماد على العقل هو المنهج الرباني الذي وجب على الانسان اتباعه.

يوم أُحد خالف الجيش امر قائده فهُزِم. والله قد اعذر وانذر. فما كان له ان ينصر من هَزَم نفسه. هذا هو الدرس الاعظم للانسانية جميعا.

ويتعجب الملحد ويقول: (لماذا لم ينتصر المسلمون في حنين؟ لقد اعجبتهم كثرتهم. "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة. ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا. وضاقت عليكم الارض بما رحبت. ثم وليتم مدبرين". ان اعجابهم بكثرتهم هو اذن السبب في هزيمتهم. أرأيت تفسيرا للهزيمة أغرب من هذا او اكثر سذاجة؟ الاعجاب بالكثرة هو اعجاب بالنفس والاعجاب بالنفس جريمة لا تغتفر. من قال هذا؟ رب العالمين. هل هذا معقول؟).

إن اي انسان ذو ثقافة او معرفة لا يسأل مثل هذا السؤال.

ان من الحِكَم والماثورات الانسانية قول الحكماء: "لا تستهن بعدوك"، و "لا تحقرنّ عدوك".

أبعد هذه الحكمة يمكن لاحد ان يلقي بالا لكلام دعي العلم هذا؟

لا شك في ان الاعجاب بالنفس – اذا ما حسب كسبب من اسباب النصر او الهزيمة – إذا إقترن بالغفلة عن الله فإنه سيحسب كواحد من اسباب الهزيمة وليس العكس. هكذا تقول التجارب الانسانية عبر الازمان والدهور.

ثم يقول: (ان المسلمين لم ينتصروا بعد ذلك الا بعد نزول الملائكة: "ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها"، أرايت الى التيئيس من الذات وكنوز الذات؟ أرايت الى تحطيم الايمان بالذات والثقة بالذات من اجل الايمان بذات اخرى لا تملك ضرا ولا نفعا؟ ارايت الى الكفر بالجهد الانساني وسلبه جميع مقوماته؟ .... ولعل قمة امتهان الله لجهد الانسان وسحق ارادته ما جاء في قوله تعالى: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ". لقد فقد المسلمون ارواحهم وديارهم واموالهم وابناءهم وكل ما يملكون. ومع ذلك فلا فضل لهم في هذا النصر انما الفضل كله لله)!!

التيئيس من الذات وكنوز الذات!!

ان افضل وصف لهذا الكلام انه "زبد"، ولا شيء تحته ولا معنى له.

لو كان الله يمتَهِن جهود الانسان لما قال: " مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"([[99]](#footnote-99))

اهناك تكريم اكثر من ان يقول الله انهم "صدقوا الله" وانهم "ما بدلوا تبديلا"؟

ألم يقل الله: "يقاتلون في سبيل الله فيقَتُلونَ ويُقتَلُون"؟

ألم يقل سبحانه وتعالى: "قاتلوا في سبيل الله"؟

ألم يقل: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم"؟

ألم يقل: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"؟

ألم يقل: "قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"؟

ألم يقل: "واقتلوا المشركين حيث ثقفتنوهم"؟

ألم يقل: "وقتل داؤد جالوت"؟

في كل هذه الآيات لمن نسب الله القتل؟

للمؤمنين بلا شك. فهم من يقتُلون. هم من يخوضون الحرب ويُقتَلون أيضا.

اما قوله سبحانه وتعالى: "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى" فهو لا يعني ابدا ان الله سبحانه وتعالى نزل الى ساحة القتال بذاته ليقتل كما فهم الملحد. وهو فهم سقيم ينمّ عن أفقٍ عقلي أضيقُ من وِجَار الضب.

ان الله لا يسلب المؤمنين جهدهم وانما يبيّن لهم ان ما جرى من نصر اوهزيمة انما بتقديره.

ان الله هو الذي وهبهم القدرة على القتال والرمي. وهو الذي ثبتهم حتى النصر.

اما قرأت يوما قول الصحابي الجليل عبدالله ابن ابي رواحة وهو يُنْشِد:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا؟

فذاك هو تفسير الآية الكريمة.

و والله انها لآية بيّنة يفهمها كل من تكلم العربية. الا ان صاحبنا ينكر ضوء الشمس من رمد.

ثم يتكلم عن بدر!، هل تصدقون؟!

بدر التي لو وجدوا طريقةً لمحَوْا يومها من سجلات التاريخ!!

انها اكبر خزي للكفار والملحدين الى يوم القيامة.

يقول عن بدر: (والحق ان غزوة بدر قمة البسالة والبذل والفداء. انها احدى البطولات الكبرى التي تقرر بها مصير الاسلام. ومع ذلك يراد لنا ان نصدق ان الله هو الذي نصر المسلمين ببدر. وبدلا من ان يشيد القرآن بهذه الطاقات الخارقة ويعطيها حقها من التقدير، فانه داسها بقدميه ليجعل من اصحابها العوبة بين يديه. فاذا انتصروا فبفضله ورحمته. فما النصر الا من عنده. اما صبرهم وجهادهم فامران تافهان لا يستحقان كلمة شكر منه. بل الشكر واجب له عليهم بالنصر وهم "اذلة". لاحظوا كلمة "اذلة" واعيدوا قراءة الاية من جديد. لاحظوا ايضا كلمة "لعلكم تشكرون" ففيها غاية التيئيس من الذات. وقمة الاستعلاء على قوم حققوا معجزة خارقة واقروا بفضل الله عليهم "ان الله لذو قضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون")!!

هو يظن – وان الظن لا يغني من الحق شيئا – ان بسالة المسلمين وجهدهم هما السبب فقط في النصر. ويظن ان جيشا فيه فارسان يمكن ان يهزم جيشا فيه ثلاثمائة فارس اذا ما استبسلوا واجتهدوا!!

وحينما أخزاه الله في بدر – وهو لا يؤمن بالله – فلم يجد بدا من ارجاع النصر الى جهد الناس. وهو الذي ما فتئ يردد في كل حين ان الله لا يستطيع نصر الضعيف وانه ينصر من ليس في حاجة الى نصره. وهذا خزي ما بعده خزي.

ثم يصرخ حزينا لان الله لم يُشِد ببسالتهم ولم يشكرهم وانما طلب منهم الشكر!!!

بلى قد وجب عليهم ان يشكروا الله. ونحن المؤمنين الذين لم نشهد ذلك اليوم ايضا نشكر الله على نصر بدر.

ان البسالة والثبات هما من الله ولم يكن من عند انفسهم. ان قوة الايمان بالله هي التي انتصرت في ذلك اليوم على قوة السلاح. فلو لم يكن المسلمون "مؤمنين" فهل كانوا سينتصرون؟

ان انتصارهم انما يعود سببه الى ايمانهم بالله قبل كل شيء ولهذا وجب عليهم ان يشكروا الله.

وان قول الملحد: (وبدلا من ان يشيد القرآن بهذه الطاقات الخارقة ويعطيها حقها من التقدير، فانه داسها بقدميه ليجعل من اصحابها العوبة بين يديه) هو إفتراءٌ آخر.

ان اشادة الله باهل بدر و تقديره لجهودهم ولبسالتهم فيها أحاديث كثيرة وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"لعل الله اطلع على اهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم"([[100]](#footnote-100))

لا اظن ان هناك تكريما اكثر من هذا.

ثم ان الصحابي الذي شهد بدرا اصبح اعلى درجة من بقية الصحابة فكان الجميع يحسب لهم حسابا. اجلالا وتعظيما لمكانتهم عند الله وعند رسوله.

فاين ما يدعيه الرجل؟!!! ان هو الا تخرص جاهل!

ثم يقول في جهالة ما رأيت مثلها: (ترى. هل كان الله يستطيع نصر الهنود الحمر على الاوربيين؟ وهل يستطيع نصرنا على اسرائيل اليوم؟ لماذا لا ينصرنا عليها. اذا صح ما ورد في الاية السابقة: "وما النصر الا من عند الله" التي تحصر النصر في الله وحده. اذا كان النصر مسألة عشوائية متعلقة بارادة الله وحده الى هذا الحد، فلماذا لا ينصرنا على اسرائيل)

تعالى الله علوا كبيرا.

ان ارادة الله سبحانه وتعالى لا تكون عشوائية مطلقا. لانها ارادة الخالق الحكيم العليم الخبير. وهو سبحانه من يدبر الامر ويفصل الآيات. لكن هيهات للملحد ان يفهم.

وقد قلنا سابقا ان الله امر المسلمين ان ياخذوا بالاسباب فقال لهم: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة". فهذا امر وليس تخييرا. عليك ان تبذل ما في وسعك ثم تتوكل على الله.

ثم يقول مغالطا نفسه: (النصر له اسبابه ومسبباته. فاذا وجدت هذه الاسباب تحقق النصر. شاء الله ام ابى! فلا الله ولا خمسون إلها معه يستطيع ان ينصر خاسرا! ليت شعري، ماذا عساه يتبقى لله اذا بدأ القتال وكانت جميع اسباب النصر محققة لفريق دون فريق؟)

سبحان الله! ما هذا الغلو في الحقد والحسد!! أكل هذا لان الله لم يستجب له ولم يسدد دينه وهو نائم على سريره لا يأخذ بالاسباب؟

ألم يتكلم قبل قليل عن بدر وعن بسالة المسلمين؟

هل كانت اسباب النصر مع الكفار يومها ام مع الرسول وصحبه؟

لا ينكر احد ان كافة اسباب النصر المادية كانت في معيّة جيش الكفار بقيادة ابي جهل.

إذا لماذا لم ينتصر ابوجهل؟

لان اهم سبب في النصر لم يكن معهم. بل السبب الرئيس الذي يفوق كافة الاسباب الاخرى مجتمعة لم يكن معهم. ذلك هو إرادة الله. نعم، لو اجتمعت الانس والجن بكل ما يملكون من قوة ومن اسباب، لن ينتصروا على إرادة الله. وقد اراد الله ذو القوة المتين ان يخزي ابا جهل واتباعه من الملحدين الى يوم القيامة وقد فعل سبحانه وتعالى.

ثم يفتري فرية تاريخية كبرى ويقول: (لقد عرف اليهود منذ الدهر الاول ان اي نصر يحرزون في اي قتال يخوضونه في سبيل الله فان ألوية النصر لن تنعقد لهم بل لله وحده .... " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" فاذا كان الله سينزع منهم كل حق في النصر، لا سيما وان اصحاب الارض من العماليق المرهوبي الجانب، فلم القتال ونتائجه معروفة سلفا؟ .. هذا هو منطق اليهود. واما العرب فقد كانوا قوما بسطاء لا يعرفون حسابات الربح والخسارة التي اختص بها اليهود. فقد كان مطلبهم الاول مرضاة الله والجهاد في سبيله ولو لم يحصدوا من هذا الجهاد الا الريح.)

ان هذا الكلام – لو لم تكن ممن تابعوا احداث التاريخ وعرفوها – يجعلك تظن ان المؤمنين قد خسروا الحرب ضد الكفار في عهد موسى وعهد النبي عليهما الصلاة والسلام!!

رغم كل هذا الافتراء و الحديث عن عدم معرفة العرب بالربح والخسارة الا ان المحصلة النهائية و الموثقة تاريخيا هي ان اليهود انتصروا على العماليق واجلوهم من فلسطين ودخلوا فيها. وان الحرب بين المسلمين والمشركين انتهت باعظم انتصار في التاريخ لصالح المسلمين. فاذا كان الامر كذلك وهذا مما يعرفه كل من يعيش على الارض، فما معنى كلام هذا الرجل؟ هل هو فقط كالكلب "ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث"؟؟

## الله في القرآن يقحم نفسه في كل شيء

باب آخر من الكلام الفلسفي الذي لا طائل من ورائه ولا يسمن ولا يغني من جوع.

يقول ناعيا وناعقا: (الله في القرآن خالق كل شيء وسبب كل شيء ومحرك كل شيء. ولا يحدث شيء في هذا العالم الا بارادته وعلمه وباذنه. فهو يتدخل في صغيرة وكبيرة. مهما كانت تافهة .... يرى الغزالي ان الله تعالى مريد للكائنات مدبر لها: فلا يجري في الكون قلبل او كثير، صغير او كبير، خير او شر، .... لا يجري شيء من ذلك الا بقضائه وقدره وحكمته. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .... وهذا التدخل في كل شيء والحضور في كل شيء نعمة من نعمه .... وهذه النعم لا عد لها ولا حصر. فاذا كانت محصورة في قلة محظوظة فذلك على سبيل الفتنة والابتلاء. "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي على بينة" وبالصبر تتكشف معادن الرجال: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين")

ولا ادري لِمَ اختار الاشاعرة من دون المؤمنين، ولِمَ اختار ابوحامد الغزالي من دون بقية العلماء؟

على كل حال ان ما قال به الغزالي هو عقيدة جميع المؤمنين ولا يشذّ عن ذلك أحد. ومن لم يؤمن بهذا فهو ليس من المؤمنين.

لكننا كالعادة نراه يفصح عن رفضه التام لعدم قبول الله دعاءه ويقول:

(يقولون في كثير من الاحيان اذا كان الله سلب احدا المال فقد اعطاه الصحة والعافية. وهي نعمة عظيمة توجب على صاحبها شكر المنعم سبحانه. ليت شعري. ما قيمة هذه النعمة عند من يعيش دون الكفاف)!!

انه يبكي فقره ليس الا. كلام لا معنى له ولا يستحق الرد ورب الكعبة!!

ورغم ذلك اقول: ان الارزاق بيد الله. يعطي من يشاء و يمنع من يشاء. فيمكن ان يكون احدهم غنيا وصحيح البدن ويتقلب في الترف ويتمتع بالنعم. ويمكن ان يكون احدهم فقيرا معدما و فوق ذاك مريضا يتقلب في سرير المرض يتلوى من الالم ولا يجد ثمن الدواء. وفي النهاية، كل هذا من امر الله. فليس لاحد ان يحاسب الله فيما يفعل.

ولا اريد ان اقول لهذا الملحد ان لله حكمة في كل فعله - وهو كذلك بلا شك - وانما اقول له هذه ارادة الله، شئت ام ابيت، فماذا انت فاعل؟ تكفر بالله؟ " مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ"([[101]](#footnote-101)) اما المؤمن فهو يسلم لله تسليما في السراء والضراء.

وفوق هذا اقول: لو كفرت انت ومن في الارض جميعا فلن تضروا الله شيئا. ولو آمنت انت ومن في الارض جميعا فلن تنفعوا الله. فهو سبحانه النافع والضاروهو الغني عن عباده.

يقول: (ان الله في القرآن هو – لا الاوبئة والجراثيم – الذي يحي ويميت)

اولا هل مات كل من مات بالاوبئة والجراثيم؟ لا

ألم يحدث ان مات انسان صحيح الجسم لم يكن يعاني من اي مرض؟

اما الاوبئة والجراثيم وغيرها من اسباب الموت الاخرى هي في الاول والآخر من خلق الله وتقدير الله.

وكل ما ذكره في هذا الباب من ان قانون الاسباب والمسببات هي التي تفعل وليس الله، فنرد عليه بان الاسباب لا تأتي من نفسها هكذا وانما اوجدها الله.

اما اكثر ما تعجبت له في هذا الباب هو تعجبه من قول الله سبحانه وتعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ"، ويقول: (وهل نسيتم المطر؟ فهو اعظم نعم الله على عباده في الحياة الدنيا. اذ لولاه ما كانت حياة على الاطلاق. فلا حياة بلا ماء)

ومم يتعجب الرجل؟

هل اثبت العلم ان هناك حياة بلا ماء؟

هل اكتشف العلماء حيوانا او نباتا او كائنا حيا خلق من غير ماء؟

الم يدرك الرجل ان هذه الآية هي من اعظم آيات علم الاحياء؟!!

لا لم يدرك. رغم انه يقول انه كان يقرأ الكتب والمجلات العلمية النادرة. لكن من جعل الله في عينيه غشاوة كيف يرى؟ ومن جعل في اذنيه وقر كيف يسمع؟ ومن ختم على قلبه كيف يفهم؟!

ذهب علماء الاحياء الى القول بان اصل الحيوانات واحد. اتفقوا في هذا وذهبوا بعد ذلك مذاهب شتى، حتى قال أحدهم ان الانسان اصله قرد.

لكن القرآن يقول ان اصل جميع الكائنات هو ذره هيدروجين وذرتي اوكسجين وسبق بهذا العلماء.

ثم يقول: (لو كان نزول الماء من السماء بلا عشوائية لكان آية حقا. اما انه مثلما يعمّرِ فهو يخرّب ومثلما ينقذ فهو يتلف. ومثلما يحيي فهو يميت. فأين الآية في ذلك؟)

الآية في ذلك ان الله يقول: " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ"([[102]](#footnote-102))

اي ان الله لم يقل ان المطر دائما خير. فالغلب فيه انه خير حتى لو دمر وقتل. ان ما يحييه المطر اضعاف اضعاف ما يميته وهذه حقيقة من حقائق الواقع. ثم اين العشوائية التي يتكلم عنها؟ كلنا نعرف ما هي شهور المطر وما هي شهور الجفاف. ام تراه لا يعرف في اي الشهور تهطل الامطار؟!

ثم يقول: (انظروا الى هذا الاقحام الغريب لنفسه تعالى في امر هو باعتراف القران نفسه قد تم وانتهى مستقلا عنه سبحانه: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" اي ان الله لا يغير القوم الا بعد ان يتغيروا. فماذا تبقى لله في هذه الحالة؟)

هل الله قال "يغير القوم" ام قال " يغير ما بقوم"؟

هل الجملتان لهما نفس المدلول؟

لا بالطبع. الا اذا كان الرجل لا يعرف اللغة فقد يلتبس عليه المعنى فلا يفرق بينهما.

الله لم يقل: ان الله لا يغير قوم. وانما قال: "لا يغير ما بقوم". اي ان الله لا يغير احوالهم ما لم يغيروا نواياهم واعمالهم.

وهذه الآية في الحقيقة تنسف كثيرا من دعاوي الملحدين. ولو كنت مكان هذا الضال لما ذكرته ابدا بل ولتمنيت ان لو لم تكن في القرآن، كما يتمنون ان لو لم يكن هناك يوم اسمه يوم بدر.

فالآية العظيمة هذه تثبت حقيقة ان الله قد طوى زمان المعجزات.

وهي – اي الآية الكريمة – تنسف دعاوي الاسطورة والاساطير. وتبيّن بجلاء انك ان لم تتزرع لن تحصد. وان زرعت قمحا ستحصد قمحا وان زرعت شوكا ستحصد شوكا وان تواكلت فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

ومن معاني الآية: ان غيرت ما في نفسك للخير و سعيت له أعانك الله عليه و وفقك و ان غيرت ما في نفسك للشر و سعيت اليه فلا تلومنّ الا نفسك.

فإن ذهبت واستدنت مالا فعليك ان تعمل وتجتهد لترد الدَيْن. اما ان تنام ملء جفونك حتى اذا جاءت ساعة السداد قمت تدعو الله، هذا ما لا يقبله الله منك: "والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني"

ويسخر قائلا: (القوي قوي لان الله منحه القوة لا لانه اخذ باسباب القوة. وهوسبحانه قادر على ان ينزع منه هذه القوة اذا وقع في معصية او حاد عن الصراط المستقيم، لا عندما يترك الاخذ باسباب هذه القوة: "ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم. وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين"، والحق ان الله مكّن المتمكن، اي الذي لا يحتاج الى تمكينه. ولم يمكن اللامتمكن. اي ان الله مكن من ليس به اي حاجة الى تمكينه، وتخلى عمن هو في اشد الحاجة الى هذا التمكين)!!

ما كل هذا الافتراء على الله وما كل هذا الاستخفاف بعقول الناس؟؟؟

ما يظن بنا الرجل نحن الذين نقرأ كتابه؟؟

هل يظن اننا من اصحاب الكهف نمنا سنين عددا ثم استفقنا لا ندري شيئا مما جرى في الكون؟

نحن جميعا نعلم ما جرى في التاريخ. والتاريخ الاسلامي من دون تاريخ الامم الاخري مكتوب بدقة كبيرة.

هل فعلا مكّن الله المتمكن الذي لا حاجة له في تمكين الله له كما يزعم الرجل؟

هل كان المسلمون متمكنين يوم بدأت الرسالة؟

لقد مر على هذه الدنيا يومٌ لم يكن فيه على وجه الارض سوى مُسلمَيْن إثنين هما رسول الله صلى الله عليه وسلم وام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد.

وظل المسلمون مستضعفين سنين عددا الى ان نصرهم الله ومكّنَ لهم. هذه قصة يعرفها كل الناس، فلماذا يسفِّه الرجل عقولنا وهو من ينصب نفسه داعية لتقديس العقل؟!!

ثم يعود الى محاولات الملاحدة المستميتة لاثبات الاختلاف – المزعوم - بين القران والعلم. وفي الحقيقة هم يظنون ان علم الفلك هو مجال خصب لاثبات مزاعمهم وبالتالي يحاولون تطويع آيات القرآن لاثبات الاختلاف.

وفي البدء اقول لهم: ان ما وصل اليه الانسان من علم ليس هو نهاية المطاف ولا نهاية العلم. وان كثيرا من النظريات العلمية في كل مجالات المعرفة لا تزال في اطوارها الاولية. ولا يجوز عقلا ولا علما ان يكون معيارا يقاس عليه.

ان اغبياء الناس يقولون لك "العصر الحديث" و "الحداثة" و بعضهم يقول "نحن في القرن العشرين" والآن حينما أفل القرن العشرون اصبحوا يقولون "نحن في القرن الواحد والعشرين". ان هذا ما لخصه الكاتب الامريكي فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" ليستدل به على ان الانسان وصل غاية ما يمكن ان يصله خاصة في مجال الديمقراطية الليبرالية، ثم لما هاجمه العلماء تراجع عن ادعاءاته.

كل هذا نقص كبير في عقل القائلين به.

لا اشك ابدا من انه سياتي بعدنا أقوام سوف يضحكون على علومنا نحن اهل القرن الواحد والعشرين.

فلا عصرنا هذا عصر حديث ولا حياتنا حياة حداثة كما يتوهم الاغبياء والمغفلون.

وان كل ما نراه تطورا لن يكون غدا الا تخلفا. كما نرى نحن اهل القرن الثامن عشر و التاسع عشر وعلومهم.

العلم لم يصل بعد غايته بل ولا عُشر غايته حتى يقاس عليه القرآن. او حتى غير القرآن.

ما ادراكم اذا كانت اجهزتنا الفلكية هذه تبيّن لنا الحقائق فعلا؟

ما ادراكم اذ ربما يتم اكتشاف اجهزة اكثر دقة في المستقبل تجعل كل ما توصلنا اليه اليوم هباء منثورا؟

هذا ليس كلاما انشائيا ولا فلسفيا ككلام الملاحدة وانما هو كلام علمي له من الواقع سند ودليل. فكم من اشياء رأتها الاجهزة العلمية بطرق ثم راتها بطرق اخرى بعد تطور الاجهزة او اكتشاف اجهزة غيرها.

هل الكاميرات القديمة التي كانت تصور فقط اللونين الابيض والاسود كالكاميرات الرقمية التى تصور الابعاد الثلاثة بألوانها اليوم؟

تلك الكاميرات يوم أُكتُشِفتْ ظنها الناس فتحا علميا لا مثيل له ولكننا لا نقبل بها اليوم ابدا.

هل الاجهزة الطبية التشخيصية التي تصور اعضاء الانسان كمثيلاتها بالامس؟ ماذا نقول اليوم عن الاشعة العادية وماذا كان الناس يقولون عنها يوم اكتشفت؟

يوم تم إكتشاف الراديو "المذياع"، ماذا قال الناس؟

لقد ظن المؤمنون يومها ان القيامة اقتربت وظن الملحدون ان العلم قد بلغ مداه. فماذا هي نظرتنا اليوم للمذياع؟

ان الملحدين يلعبون بعقول البسطاء وهم الذين يخدعوننا باسم العقل وتقديس العقل وهم في الحقيقة ابعد الناس عن العقل والعقلانية.

ثم نعود الى كلامه اذ يقول: (واغرب من هذا ان الله خلق النجوم لنتهدي بها. نحن الذين وجدنا في الخمس دقائق الاخيرة من عمر النجوم الذي يقدر بمليارات السنين: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ". هل يمكن لاحد اليوم ان يصدق ان النجوم جعلت لتضئ كوكب الارض التي لا تعدو ان تكون حبة غبار – وربما دون ذلك بكثير – في هذا الكون العظيم الذي لا حدود لسعته واتساعه؟)!!

أقول: انا ايضا لا اصدق ان كل هذه النجوم جعلت لتضئ كوكب الارض.

هل قال الله انه جعل النجوم لتضئ كوكب الارض؟؟

الله لم يقل هذا.

لكن الرجل فهم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر على انها الاضاءة!!!

لا تضحكوا عليه. ان الضحك على الناس غير جائز. بل ابكوا معي ان هذا كان معلما للقرآن يوما ما!!

معلوم لأي تلميذ ان المقصود ب "تهتدوا في ظلمات البر والبحر" هو استخدام النجوم لمعرفة الاتجاهات ليلا وقد كان شائعا عند البدو والبحارة قديما وحديثا. ثم ان المقصود ليس كل النجوم، انما هي نجوم محددة كانت تستخدم لمثل هذه الاغراض وهي معروفة باسمائها واوقاتها عند من يهتدون بها.

ثم يقول مستهزئا: (كذلك يمُنّ – الله – علينا مد الظل ... فالمعروف ان اي جسم مادي محسوس موضوع في الشمس يترك ظلا. هذا الظل يختلف طوله من وقت الى آخر تبعا لقرب الشمس او بعدها عنه. هذه مسألة واضحة لا احسب احدا يشك فيها او يطلب لها تفسيرا ومع ذلك فان الله في القرآن يخلق لها ايديا وارجلا وحركات وتحركات ليضفي عليها صورة النعمة التي تستوجب الشكر منا. كأننا اطفال نصدق كل ما يقال لنا: " أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا" .. لاحظوا تعبير "ولو شاء لجعله ساكنا" .. هل من الممكن ذلك؟ ان سكون الظل معناه سكون الشمس ووقوفها كما وقفت للنبي عليه السلام يوم اسري به وعرج الى السماء)

انظروا كيف اضله الله بعد علم!!!

بعد ان قال ان سكون الظل معناه سكون الشمس ووقوفها، ما يزال يظن ان الله يعني الظل بذاته.

المقصود بالنعمة هنا هو حركة الشمس والارض لا طول الظل وقصره.

أليست حركة الشمس والارض نعمة تستوجب منا الشكر؟ بلى. تستوجب الحمد والشكر فإن عليها حياتنا في الكوكب.

ثم يقول: (هل استطاع الله ان يدفع عن نبيه اذى السم الذي دسته له المرأة اليهودية لتعرف صدق نبوته. فان كان نبيا من عند الله حقا لم يؤثر فيه السم والا عاجله الموت)

رغم ان قصة السم فيها اقوال تدحض مزاعم هذا الافاك، الا ان القرآن نفسه ذكر ان بني اسرائيل قتلوا كثيرا من الانبياء لعل آخرهم نبي الله يحيى عليه السلام. فهل كان الانبياء معصومين من القتل؟

هل مقتل نبي يعني انه ليس نبيا، او ان الله لا يحبه؟؟

كثير ممن يحبهم الله انتقلوا الى جواره الكريم ودماؤهم تسيل منهم. شاهدة على ظلم المجرمين من الكفرة والملحدين.

## وهو القاهر فوق عباده

وفي هذا الباب عويل كثير ونحيب حتى ليشعر احدنا كما لو ان دموعه اغرقت المدن والقرى.

صدقوا او لا تصدقوا، انه غاضب لان الله قاهر فوق عباده!!

يقول: (ومن مقتضيات الهيمنة والقهر المنسوبين الى الله رفض الآخر ورفض الحوار مع الآخر وعدم التسليم له باي حق في المعارضة والمبادرة وابداء الرأي)!!

هل الله له ند حتى يتحاور معه سبحانه وتعالى؟

ليس له ند وتعالى ان يكون له ند. فمع من اذا يريده – هذا الابله – ان يتحاور؟

الله، الخالق، العالم بكل اسرار خلقه، الذي يعرف عن الانسان ما لا يعرفه الانسان عن نفسه، كيف يتحاور مع الانسان؟

هذا منطق معوج لا شيء فيه من العقلانية.

يقول: (ما دخل الله في قضايا الانسان الشخصية التي هي من اخص خصائصه وحق من حقوقه الطبيعية؟ لقد افرغ موسى كل ما في جعبته لهدايتهم – يعني بني اسرائيل – فلم يهتدوا. ثم قبلوا ما جاءهم به بالتهديد والوعيد وبقوة السلاح ان صح هذا التعبير. فهل يعد ذلك في شريعة الله ايمانا؟)!!

اما ما دخل الله في قضايا الانسان، فإن الله هو خالق الانسان. ولكن الملحد يتكلم هنا بإعتبار أن الله لم يخلق الانسان. ولكننا نعلم انه سبحانه وتعالى خالق الانسان. و هو الذي منح الانسان تلك الحقوق التي يسميها الملحدون "الحقوق الطبيعية".

اما قوله ان الله هدد بني اسرائيل حتى قبلوا الايمان بما انزل على موسى، فانه سبحانه وتعالى انما اراد بهم خيرا ولم يرد بهم شرا. أرأيت الاب – اي اب – حينما يضرب طفله الصغير على خطأ إرتكبه فهل هو يريد الاضرار به او الانتقاص منه ومن حقوقه ام انه يفعل ذلك حبا فيه وتقويما و تأديبا له حتى يراه على افضل حال؟

ثم يتكلم عن قصة زواج زيد بن حارثة من السيدة زينب بنت جحش ويقول: (زوجها النبي قسرا عنها مولاه وابنه بالتبني زيدا بن حارثة. فتمردت على هذا الزواج الذي فرضه الله عليها عنوة من غير ان يراعي مشاعرها. وكانت النتيجة فشل هذا الزواج فشلا ذريعا رغم ان الامر نزل من السماء وهي في ذلك الوقت اعلى سلطة مرجعية في العالم. لذلك وقع ما لابد منه وهو الطلاق)!

إن لله حِكَماً من كل امر يأمر به او نهي ينهى به.

الملحد يتكلم وكأن الله سبحانه وتعالى لم يكن يعرف ما سيحصل!!

لكن الله كان عالما بما سيحدث. كان عالما بأنها ستتمرد. وان الزواج سينتهي الى طلاق. ورغم ذلك فرضه عليهما. لأنه سبحانه وتعالى اراد ان يقرر امورا وتشريعات عبر ذلك الزواج. وهذه التشريعات بالنظر الى فشل الزواج هي تشريعات في غاية الاهمية يصبح فشل الزواج بجوارها امرا تافها خاصة وان الله كان في علمه انها ستتزوج رسول الله مما يعتبر تعويضا لمشاعرها فوق ما كانت تحلم به.

وذلك الزواج الفاشل اولا: أكد ان الناس سواسية في الاسلام والّا فرق بين الموالي والاسياد. وثانيا: ألغى فكرة البنوّة بالتبني وامر ان يُدعَى الناس لآبائهم الحقيقيين.

وكل هذه الامور مما لا يفهمها الملحدون. فهو يقول: (ولا يكف الله عن تحذير المؤمنين من الخروج عما اختاره لهم حتى ولو كان هذا الذي اختاره لهم ضارا بهم وفي غير مصلحتهم كما رأينا في الحالة السابقة). تأكيدا لما قلناه من ان الملحد لا يتسع فهمه لمعاني آيات الله. فالله سبحانه وتعالى لا يختار للمؤمنين ما يضرهم ابدا. وحتى لو بدا ان اختيار الله فيه ضرر في الظاهر فإنه بلا شك يحمل الخير المحض في بواطنه. كما ضربنا مثلا للأب الذي يؤدب ابنه.

ثم يتحسر على خلو الاسلام من المعجزات!!!

يقول هنا: (لكن تظل هناك فئة معارضة دأبها المكابرة والمعاندة، لقد وضعت يدها على نقطة الضعف التي تتمكن بها من الاسلام وهي افلاسه المطلق في باب المعجزات وعدم استعداد النبي لتقديم اي معجزة سوى معجزة القرآن. وهي اسطورة استولت على الفحول فما ظنك بما دونهم؟ ولكن المعارضة المشككة ظلت تتحدى النبي انها لا تريد معجزات كلامية فارغة. بل اصرت عليه ان يأتي بمعجزة حقيقية من الله تصديقا لنبيه أسوة بسائر الانبياء الذين جاءوا قبله في الدهر السالف والذين تحدث عنهم القرآن نفسه. انهم لا يريدون معجزة "حكي"، بل معجزة "فعل". ويظهر ان النبي كان يتبرم بهذا الطلب ويضيق ذرعا كلما ألحوا عليه به لعلمه مقدما بعجزه عن تلبيته)!!

الرجل قام بتأليف كتابه ليثبت للعالمين ان القرآن هو من تأليف محمد ولا علاقة له بالسماء!!

حسنا ايها الملحد. لو كان القرآن من كلام محمد، وكان محمد يعرف انه لن يستطيع ان يأتي بمعجزات، فهل كان سيؤلف آيات عن معجزات الانبياء الذين سبقوه ليطالبه قومه بمعجزات مثلها؟؟!!

هل هناك عاقل يؤلف كتابا ليثبت امرا ما ثم يضع في الكتاب ما ينقض كل براهينه وادلته؟؟

ان عدم وجود معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام هو دليل على نبوته وليس العكس.

ثم لا افهم انا، لماذا يتحسر هذا الملحد على خلو الاسلام من المعجزات!!

ألم يكفر هو بمعجزة الاسراء رغم انها معجزة في زمانها ذاك؟

ألم يكفر بمعجزة المعراج وبراها ضربا من الاساطير؟

فلماذا اذا يسأل عن المعجزات؟

لكأنه كان سيؤمن بالله لو ارسل نبيه بالمعجزات؟

لا والله. فإن الله قال: " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ"([[103]](#footnote-103))

ثم يقول: (الله في القران لا يطيق المعارضة حتى ولو صدرت عن ملائكة السماء. ان موقف الله من المعارض – سواء كان هذا المعارض بشرا او ملكا – موقف واحد لا يتغير. وهو التجاهل والتسفيه وعدم الرد ... والغريب ان الله في القرآن لم يتسع صدره لأحد كما اتسع لابليس فمد له من الحوار والنقاش ما لم يمد للملائكة المقربين انفسهم. ...)

وهذا كلام سفيه نرد عليه بسؤال: كم بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس للاسلام؟

الجواب يعرفه الجميع الا هذا الملحد. لان في قلبه ران.

بقى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس للاسلام ثلاثا وعشرين سنة. اي ان الله صير على الناس ثلاثا وعشرين سنة حتى اسلموا. فهل ضيِّق الصدر ينتظر كل هذه السنوات؟

## مع الله. على الانسان ان يلزم حده

هنا يقول مستهزئاً: (اذكر اصلك ايها الانسان. لا تنس انك من تراب. بل انت من ماء مهين "ألم نخلقكم من ماء مهين"، ولا تكونن من المستكبرين. فالله غني عنك وعن الناس اجمعين. "انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا". ما هذا التحقير وما هذا التيئيس للانسان؟ هل كل ذلك لانه قال: لا؟)

لا ليس كل ذلك لان الانسان قال: لا. بل كل ذلك لانه الحقيقة التي يريد ان يهرب منها الملحد!

الانسان من تراب وهو من ماء مهين. هل في ذلك شك؟

لكن الله لم يذكر ذلك في معرض الاهانة. لان الله سبحانه وتعالى كرم بني ادم وفضله على كثير من خلقه و سخر له ما في الارض جميعا منه. هل بعد هذا يمكن ان يقال انه اهان الانسان؟

اما انه لن يبلغ الجبال طولا فقد اقرّ به الملحد، اما انه لن يخرق الارض فهو لن يخرقها ابدا. اما حشره لمسألة الفضاء هنا فلا اعرف له وجها سوى ان الملحدين يظنون انهم بما وصل اليه علم الانسان في مجال الفلك يمكن ان ينقضوا ما جاء في القرآن ولكن هيهات.

لا يعرف الملحدون ان الله ذكر في القرآن ان في قدرة الانسان ان يخرج الى الفضاء. قال تعالى: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ"([[104]](#footnote-104)(. ولا يقولنّ غبيٌّ ان هذا لا علاقة له بالسفر الى الفضاء. فالآية واضحة وصريحة في ان الجن والانس يمكنهم الفرار من جاذبية الارض والاجرام السماوية متى امتلكوا السلطان. والسلطان هو القدرة ايا كان نوعها. قوة او علما.

لم يكن احد من سكان الكرة الارضية في عهد نزول القرآن يحلم بهذا مجرد حلم. فكيف لا يكون القرآن من عند الله العالم بكل ما حدث ويحدث وسيحدث؟

ثم يعود ويصرخ لغياب المعجزات عن الاسلام ويقول: (ان السؤال الذي طرحه المشركون هو: لماذا يعجز النبي عن الاتيان ولو بمعجزة واحدة من المعجزات الكثيرة التي اظهرها الله على ايدي غيره من الانبياء السابقين ولم يحجبها الا عن صفيه وحبيبه خاتم النبيين وسيد المرسلين)

لقد تعجبنا من قبل من طلب هذا الرجل لمعجزة وهو الذي يتكلم عن العلم وان القرآن بعيد عن العلم. فلو كان القرآن بعيدا عن العلم لامتلأ بالمعجزات. اما وانه قد ارسل لزمان العلم فان معجزته الحقيقية هو خلوه من المعجزات المادية الآنية التي تظهر في اوان وجود الرسول فحسب ثم تنتهي المعجزة بموت الرسول.

الاسلام فيه معجزات كثيرة لكن القرآن لم يوثقها:

" معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة، وقد جاوزت الألف، كما صرح بذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان" (2/691)، وهذه المعجزات منها ما حصل وانتهى، ومنها ما هو باق إلى أن يشاء الله تعالى، وهو المعجزة العظمى، والآية الكبرى على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي القرآن العظيم، الآية الباقية الدائمة التي لا يطرأ عليها التغيير والتبديل، وهو معجز من وجوه عديدة : من جهة لفظه، فقد تحدى الله فصحاء العرب أن يأتوا بمثل سورة منه فعجزوا.

ومعجز بما فيه من أخبار مستقبلة وقعت كما أخبر عنها، كقوله تعالى : (الم \* غُلِبَتْ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بِضْعِ سِنِينَ) الروم/1-3 .

ومعجز بما فيه من تشريعات محكمة ما كانت البشرية كلها تهتدي لمثلها .

ومعجز بما فيه من علوم وأخبار عن أسرار هذا الكون، والذي لا يزال العلم الحديث يكتشف يوماً بعد يوم شيئاً فشيئا من هذه الأسرار.

وأما المعجزات التي حصلت وانتهت فهي كثيرة كما قلنا ومن أشهرها:-

1. معجزة الإسراء والمعراج، وقد جاء القرآن بذكر الإسراء صراحة والإشارة إلى المعراج، وجاءت الأحاديث من السنة الصحيحة المستفيضة ببيان المعراج وما كان فيه.
2. معجزة انشقاق القمر، وقد ورد القرآن بذكرها، وتواترت بها السنة، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى، وأجمع على ذلك المسلمون.
3. تكثير القليل من الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم حتى كان يأكل منه من معه من الجيش، وتبقى منه بقية، والأحاديث في ذلك في الصحيحين وغيرهما.
4. نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الماء حتى يشرب منه جميع الجيش ويتوضؤون والأحاديث في ذلك أيضاً في الصحيحين.
5. إخباره صلى الله عليه وسلم بالأمور الغيبية المستقبلة ثم تقع كما أخبر، وقد حدث مما أخبر به شيء كثير، ولا نزال نرى أشياء تحدث مما أخبر به صلى الله عليه وسلم.
6. حنين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر . والحديث في صحيح البخاري.
7. تسليم الحجر عليه وهو في مكة . والحديث رواه مسلم.
8. إبراء المرضى، والأحاديث في ذلك كثيرة في الصحيحين وغيرها .

والمعجزات كما قلنا كثيرة وهذا طرف منها، وقد أَلَّف العلماء في جمع معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مؤلفات عديدة كدلائل النبوة للبيهقي، وأعلام النبوة للماوردي، وكتب العقيدة مملوءة بذكرها في مبحث الإيمان بالرسل"([[105]](#footnote-105))

ورغم كل ذلك فإن الله لم يشأ ان يثبت معجزات في القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم لان زمن المعجزات قد ولى وجاء عصر العلم.

و في نهاية المطاف آمنت قريش والعرب بالله وكانت الغلبة لله ولرسوله وهذه هي أكبر معجزات الاسلام. انه اقنع الناس بالعقل!!

لقد كان الله عالما بان الناس سيؤمنون بدون معجزة. سيؤمنون بالعقل. وهذا ما اراده الله وهذا ما حدث. وبالتالي فلا معنى لمعجزة. بل ان هذا هو المعجزة بل هو معجزة المعجزات.

## إله بلا فاعلية

هذا الباب مليء بالفلسلفة العرجاء وبسفسطات لانهائية وبكلام يبدأ ولا يجد له نهاية ولا مخرجا.

فهو يقول: (الله فكرة – وهو ككل فكرة – من ابداع العقل الانساني وانتاج الوعي الانساني لتفسير اصل الاشياء وعلتها ومصادر فعلها. وكذلك الدين فكرة اخترعها الانسان نتيجة التامل في حياته الفردية والاجتماعية وفي مصير الانسان بعد الموت)

هذا نفي لوجود الله بالكلية ولا يحتاج الى شرح.

حسنا انظروا اليه في الاسطر التي تلي مباشرة وهو يقول: (وسواء كان الله موجودا او غير موجود. وسواء كان الدين صادقا او كاذبا فيجب على الانسان ان يؤكد ذاته وان يتصرف في دنياه بحرية ومرونة)

بعد ان نفى وجود الله بالكلية في الفقرة السابقة فاذا به يعود ويشكك في وجوده.

ثم انظروا ماذا قال هنا: (فاذا صح وجود الله – وهو امر لا انفيه بالاطلاق – فليت شعري اين هو؟ اين عساه يكون؟ واذا كان من غير الممكن الاجابة عن هذا السؤال الذي لا يجوز طرحه، فأين هي آثاره؟)

ويقول في مكان آخر: (وليس معنى ذلك ان الله غيرموجود. بل انا اؤمن بوجوده ترجيحا لا تارجحا.)

هل هناك تخبط اكثر من هذا؟!!

انكر وجود الله بالكلية ثم عاد وشكك فيه ثم ما لبث ان أقرّ به. ثم يعود وينكر ثم .. وهكذا بلا نهاية كالساقية التي تأخذ من النهر وتصب في ذات النهر!!

عجبا للملحدين حينما يسَأَلون عن ذات الله كما كنا نفعل ونحن اطفال. وعجبا اكثر حينما يسألون عن آثار الله!!

فما تكون انت ان لم تكن أثرا من آثاره سبحانه وتعالى؟؟؟

يقول: (يعتقد اكثر الناس، بل ويشاركهم في هذا الاعتقاد عدد كبير من الفلاسفة الكبار، ان الايمان بالله يدخل في باب الضرورات العقلية واوائل المعرفة. انه احدى البديهيات التي لا شك فيها. والغريب ان القرآن ينجرف هو ايضا في هذه الدعوى ويذهب في تكريسها الى حدها الاقصى " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"، وفي راينا ان هذه المسألة فيها نظر. فلو كانت معرفة الله ضرورية، اي مغروزة في النفس بالفطرة والطبيعة، لما احتيج في اثبات وجوده الى دليل. ولما انكر وجوده احد كما لا احد ينكر الضرورات)!

اولا ان وجود الله لا يحتاج الى اثبات ولا الى دليل. انت موجود؟ اذا الله موجود. لانك لا تستطيع ان تنكر انك مخلوق، فاذا لابد من خالق. انتهى الامر.

ولا يقولنّ احد ان الصدفة خلقت. لان هذا مما لا يقبله عقل. بل هو تسفيه للعقل. وهو في النهاية احالة الى مجهول.

اما قوله "والغريب ان القرآن ينجرف هو ايضا"، ما الغريب في ذلك؟ ان كل دعوات القرآن قائمة على مفهوم ان الله معروف بالفطرة. فهل هنا غرابة؟

ثم انها ليست الآية: " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" هي التي يحتج بها هنا. انما هناك آية تقرر صراحة معرفة الله بالفطرة. وهي الآية الكريمة: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ"(**[[106]](#footnote-106)**)

ثم ان الانسان الاول وهو آدم عليه السلام يعرف الله. لان الله خلقه بيديه واسكنه جنته وتكلم معه وانزله من الجنة الى الارض. اذاً الاصل في الانسان هو معرفته بالله. ثم لما امتد الزمان وبدأ ابليس ينفذ وعده " وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"، حينها بدأ الناس يضلون عن الله. بقوا على ايمانهم بالإله لكنهم فقدوا المعرفة بكنهه فاتخذوا آلهة حسب ما زين لهم الشيطان. ثم أرسل الله الرسل ليعيدوا الناس الى الجادة.

اما الالحاد والكفر بوجود الإله مطلقا فهو أمر متأخر ربما ظهر في عهد نوح عليه السلام. لان قصة ابن نوح تبيّن ان هذا الابن لم يكن مؤمنا بأي إله. اي انه كان ملحدا. فقد ناداه النبي نوح: " يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ" قال: " سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ". ورغم ان والده النبي قال له: "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ"، الا ان الولد الملحد ما كان يصدق ان مياها، مهما بلغ، يمكنه ان يغرق كل الارض بما فيها من جبال. فهو بلا شك كان ممن يدعون الى تقديس العقل. ولكن فار التنور و فتحت السماء بماء منهمر وفجرت الارض عيونا و التقى الماء على امر قد قدر. وهلك المشركون وهلك الملحدون الذي لم تسعفهم عقولهم. ولات حين مناص.

وفي خاتمة كتابه يقول: (وفي الختام اعود الى تذكير القارئ بان كتب التفسير فيها غث كثير لا يساوي المداد الذي اهرق فيها. لقد فاضت قرائح مفسرينا في هذه الكتب وغرقوا في اوحال لا قرار لها. وكانوا كلما تحركوا فيها قذفت بهم الى مكان سحيق. فلم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في القرآن الا تصدوا لها بالعقل حينا و بالسخف احيانا .... اجل ان كتب التفسير محشوة بالسخف والغباء والهذيان والاسطورة ونثر البخور)!

هل هذا كلام انسان له باع او ذراع في العلم؟

لو كان الرجل من زمرة العلماء، لتواضع تواضع العلماء، ولما جرى قلمه بمثل هذا القول التافه.

إن اقل واجب علينا تجاه رجال قضوا اعمارهم في العلم والتفسير ان نقول لهم: احسنتم. جزاكم الله عنا خيرا. اما ان نسفّه مجهودهم ونقلل من شأنهم فذاك لعمري لا يكون الا من جاهل دعيّ علم. ولا يشتم العلماء الا الحمقى.

والاسلام نفسه دعا الناس للاجتهاد والاستنباط. بل و قرر الثواب للمجتهد حتى وان اخطأ.

لكن ادعياء العلم ابدا – في اي زمان واي مكان –يظنون ان ما جاء به غيرهم ليس شيئا يذكر.

انظروا الى هذا القول: (انما انا اصف ما وجدت في القرآن. واقرر ما سمعت منه وما رايت فيه. بيدي المسبار، والميزان، والمكيال، وآلة التصوير وجهاز التسجيل. فلست هنا في معرض التقويم. انما انا في معرض الوصف والتقرير)!!

فهل هناك كبر وانتفاخ اوداج اكثر من هذا؟

يظن الرجل ان فهمه – ذلك الفهم السقيم الذي رأيناه – هو منتهى مقاصد القرآن وانه لا يحق لاحد ان ياتي بفهم مختلف. فإن جاء، فهو قد جاء بالحشو والسخف والثرثرة!!!

## في الختام

لقد تركت مقالة قالها الرجل في كتابه لأختم به عملي هذا.

تركت تلك المقالة لا لأبيّن لكم وهن عقل الملاحدة والعلمانيين بل لكتشفوا ذلك بأنفسكم. فهذه المقالة توضح بجلاء المحنة التي يعيشها هؤلاء الناس الذين لم يجعل الله لهم حظا في الايمان ولا في الاسلام.

بعد كل هذا الزعيق الذي ملأ به الرجل كتابه شتما في القرآن ورب القرآن وفي الايمان والمؤمنين، يقول: (أنا لا ادعو الى التخلي عن الدين، فهذا مطلب عسير، بل هو طلب ما لا يُطلَب).

أليس أمره عجبا هذا الرجل؟ إذا لماذا ألف هذا الكتاب أصلا؟ وماذا كان يقصد بحرق القرآن و ترك الحج و شعائره و إلغاء غيره من العبادات؟

ثم إذا كانت الدعوة الى ترك الدين هو طلب ما لايطلب، فماذا كان يطلب هو في كتابه من مقدمته الى خاتمته؟

ليس هناك تسفيه لعقل القارئ أكثر من هذا.

ثم يستمر في اللعب بالعقول قائلا: (قلت اني لا ادعو الى التخلي عن الدين، انما ادعو الى عدم الاحتكام في كل شئ الى الدين ... وذلك باعتماد العلمانية منهجا فكريا وحياة. ليست العلمانية إلحادا او دعوة الى الالحاد كما يصورها اعداؤها انما هي وضع حد للتداخل بين الدين والدولة، اعتقد ما شئت، لكن إياك ان تلزم الآخرين بعقيدتك وتجعل منها نظاما للحكم والحياة، فالدين لله والوطن للجميع، هذا هو شعار العلمانية، فلا شأن لله في شئون الوطن، هذا هو شعار العلمانية)!!!!

بئس الشعار والله هو شعار العلمانية، فإن الدين لله والوطن لله وما الانسان الا عبد لله شاء ام أبى.

دائما ما اصف العلمانيين بأنهم منافقو هذا العصر، و احب ان اطلق عليهم لقب "السلولية" تيمنا بزعيمهم عدو الله عبدالله بن ابي بن سلول.

جادلتهم كثيرا على صفحات "فيسبوك"، فما عرفتهم الا قوما تائهين ابدا في صحاري الفكر لا يكادون يجدون سبيلا او مخرجا من المأزق الذي وضعوا انفسهم فيه. هم والملحدون سواء الا انهم يظهرون الايمان ويبطنون الكفر. يقولون نحن لا نكفر بالدين بل نحن مؤمنون بالله وبالاديان لكننا نطلب ان يتم ابعاد الدين عن السياسة وشئون الحكم.

سألت أحدهم: هل انت مسلم حقا؟

قال: نعم، واصلى الخمس واصوم رمضان

سألته: وتطلب عدم تطبيق الشريعة الاسلامية؟

قال: نعم لأن الدولة فيها غير المسلمين وهم مواطنون مثلنا ويجب ان يكونوا متساوين معنا في الحقوق والواجبات ويجب ان تكون المواطنة هي اساس هذه الحقوق والواجبات لا الدين.

سألته: ألا يمكن ان تتحقق هذه المساواة الا بتنازلنا عن تطبيق الشريعة؟

قال: لا

سألته: هل تؤمن بالقرآن؟

قال مستنكرا في حدة: ما هذا السؤال السخيف؟ قلت لك انا مسلم ومن يدري ربما اكون ملتزما بتعاليم الدين اكثر منك.

سألته: إن كنت مسلما حقا و ملتزما بتعاليم الاسلام حقا، ألم تقرأ هذه الآية التي تقول: "والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا، نكالا من الله" صدق الله العظيم.

سكت محملقا في وجهي فبادرته: أليس هذا أمرا من الله بقطع يد السارق؟

بدا عليه الارتباك فعاجلته: هل هو امر ام لا؟

بدأ يهز رأسه في كافة الاتجاهات ويتمتم بكلمات غير مفهومة فقلت له: أخي، ان كنت مسلما حقا فليس في يدك ولا من حقك ان تتنازل عن شريعة الله الذي امر بتطبيقها في كل شئون الحياة. اما ان كنت غير مسلم فدعك من النفاق والعلمانية واعلن الحادك صراحة.

وحتى هذه اللحظة لم أجد علمانيا استطاع ان يجيب على سؤالي. و اعلمُ انهم لن يستطيعوا ما دامت السموات والارض. فما أرى لهم الا واحدا من سبيلين:

أن يتوبوا الى الله حقا مما هم سادرون فيه، أو ان يعلنوا إلحادهم صراحة كصاحبهم هذا.

ليس هناك طريق ثالث. فإن الله يقول: " هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"([[107]](#footnote-107))

ويقول: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ \* أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ \* يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا \* أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ \* أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"([[108]](#footnote-108))

فليس هناك نجد ثالث.

فالانسان أمامه سبيلان، إما من أصحاب الميمنة او من أصحاب المشأمة.

والآن دعونا نثبت بالعقل والمنطق دون غيرهما ان القرآن الكريم ليس كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وانما هو كتاب الله.

يتكلم الملحدون عن تقديس العقل دائما وابدا وقد رأينا ان عقل الانسان ليس كاملا حتى يعتمد عليه.

ورغم ذلك فإن أسئلة منطقية لابد ان نضعها امام الملحدين.

أول هذه الاسئلة: ماذا يريد كل انسان ان يحقق في حياته؟ او لنقل عم يبحث كل انسان في حياته؟

في علم النفس يقولون ان الانسان جُبِلَ على الراحة. فهو دائم البحث عنها بكل السبل ولو وجد طريقة ليجعل كل الناس خدما لراحته فلن يكون لديه مانع. بل انه فعلا يرغب في هذا ويبحث عنه.

كما ان الانسان جبل على حب المال لتحقيق تلك الراحة اولا و ليكون متميزا يشار إليه بالبنان.

كما انه جبل على حب الزعامة والرياسة ايضا لتحقيق راحته وليجعل الناس في خدمته.

لا يختلف اثنان في ان حب المال والرياسة و الوجاهة هي اهم الشهوات التي يسعى الناس لتحقيقها. و هي سبب اغلب الحروب التي اشعلها الناس في الارض. وتكاد كل الشهوات الاخرى تكون منضوية تحت الشهوات الثلاثة المذكورة.

فإذا كان الامر كذلك. فماذا كان يريد النبي صلى الله عليه وسلم من قيامه بالدعوة؟

في بداية عهد النبوة عرضت عليه قريش ان يجعلوه ملكا عليهم او يجمعوا له من المال حتى يكون اغناهم. فرفض النبي كل ذلك.

فبربكم هل يكتب الكُتّاب كتبهم الا من اجل المال والشهرة والزعامة في مجتماعاتهم؟

هل يسعى كل من يسعى في هذه الدنيا – الا من رحم الله – الا من اجل تلك الاهداف؟

لو لم يكن محمد نبيا. ولو كان يؤلف القرآن من عند نفسه لقبل بعرض قريش دون تردد. اذ لماذا كان يؤلف القرآن – ان كان هو من ألفه؟

هل كان سيصدق ان يبلغ دعوته ما بلغت ان لم يكن من عند الله؟

لو كان هو من يؤلف القرآن كان ليكون لديه بعض الشك مهما بلغ ثقته في نفسه وفي دعوته. لكنه لم يشك لحظة واحدة ولم يتردد ابدا في الرد على قريش بكل حزم وحسم.

لو لم يكن محمد مرسلا من عند الله فلماذا رفض السلطة والمال والراحة و اتعب نفسه كل ذلك التعب؟ حوصر هو واهله بشعاب مكة حتى ما وجدوا ما يأكلون. خرج من بلدته يطلب النصرة في ثقيف التي آذته ورمته بالحجارة حتى سالت كعبيه دما وهو يسير حتى بلا ركاب في هجير الشمس. ثم خرج من بلدته فرارا من العذاب و التضييق الى بلاد غريبة.

بل حتى حينما آواه الغريب لم يجد الراحة فكان يخرج في الحر والبرد الشديدين باصحابه الى المعارك. بل وتعرّض للضرب وسالت دماؤه وكسرت سنه.

ثم عاش فقيرا ينام على حصير يظهر أثره على جنبه ويخرج ليلا او نهارا من شدة الجوع ويربط على بطنه الحجر وبعد هذا مات فقيرا ودرعه – وهي كل ما يملكه من مال – مرهونة؟

كل هذا وغير هذا من النصب والتعب والارهاق والعذاب لماذا؟

بالمنطق والعقل ايها الملاحدة هل يمكن لرجل غير نبي ان يرفض حياة الدعة والترف والعز والمجد ويختار كل هذا الشقاء؟

ثم لو لم يكن نبيا وكانت له دعوة يريد ان يقيمها في الناس او يريد ان يقيم مجدا للعرب لاختار المُلك ثم كان له بعد ذلك ان يدعو الى دعوته وهو في موقف قوة ومنعة ولما استطاعت قريش يومها ان تمنعه او تطرده. بل ولوصل الى مبتغاه بأسرع من درب الكد والجهد الذي سار فيه.

ألا يدل كل هذا على نبوته؟؟؟

اما القرآن فهو شاهد بنفسه على انه من عند الله ...

من أين لمحمد او لأي انسان في ذلك الزمان ان يعرف ان الصوت يمكن ان يقتل؟

فإن القرآن يقول ان أمما قتلها الله بالصيحة. وهذا ما لم يكن يعرفه الناس الى عهد قريب.

من أين لمحمد ان يعرف ان البحار حينما تتلاقى فانها لا تختلط فورا وانما يبقى بينهما حاجز يمنعهما من الاختلاط؟ هذا مع العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش في الصحراء حيث لا نهر ولا بحر.

من اين لمحمد العلم بان الشمس والقمر والكواكب والنجوم تدور في افلاك وتسبح في الفضاء؟

فالقرآن يقول: "وكل في فلك يسبحون"

من اين لمحمد او لاحد في زمانه ان يعلم ان جميع الاحياء هي امم وعشائر مثل البشر؟

وهذه الآية الكريمة: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"([[109]](#footnote-109)) ألا تدل على انها من عند الله؟ لو كان القرآن كلاما بشريا ولو كان كلاما لرجل بدوي لما خطرت هذه الآية في عقله أبداً.

و غير هذا كثير.

ولكن أهم ما يتمسك به الملحدون للتدليل على وجود خطأ علمي في القرآن هو الآية الكريمة التي تقول: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ " في سورة الطارق.

وتقول الآيات: " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ \* إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ"([[110]](#footnote-110))

ظل الملحدون يضحكون علينا حينا من الدهر و هم يقولون في هزء وسخرية: القرآن يقول ان الانسان يخلق من شيء في عظام صدر المرأة – وهم يقصدون "الترائب" – وقد أثبت العلم خطأ هذ القول.

إستند الملحدون في طعنهم هذا على بعض تفاسير القرآن القديمة الذين فسروا "الصلب والترائب" بأنها صلب الرجل وترائب المرأة. وقد ذهب مفسرون آخرون الى ان "الصلب والترائب" مقصود بهما صلب وترائب الرجل فقط. وذهب قسم ثالث من المفسرين الى ان المقصود هو صلب وترائب الرجل والمرأة معا.

رغم كل هذه الاختلافات الا ان الملحدين ظلوا يتمسكون بتفسير واحد من تلك التفاسير وهو التفسير الاول وسحبوه على باقي التفاسير بل وقدموه على انه المعنى الحقيقي للآية ومن ثم طعنوا به في القرآن وظلوا يتشدقون بهذا دهرا من الزمان ومنهم من لا يزال يتكلم عما يظنه أكبر الاخطاء العلمية في القرآن.

أول ما ينبغي ان يقال وقد قلناه كثيرا هو ان تفاسير القرآن هي إجتهادات بشرية قد تصيب وقد تخطئ وبالتالي ان الطعن في القرآن باستخدام تلك التفاسير هو منافٍ تماما لأسس البحث والإستقصاء العلمي. وفي هذا يخالف الملحدون العلم الذي يتشدقون به وهم أبعد ما يكونون عنه.

الشيء الثاني الذي ينبغي ان يقال وقلناه ايضا هو ان القرآن ليس كتابا لزمان بعينه وان لكل زمان مفسروه. وان تفسير القرآن يستصحب معطيات الزمان العلمية والبيئية وغيرها من احوال اهل الزمان. ولا يعقل ان يتمسك الناس بتفسير مرّ عليه اكثر من الف سنة ليلزموا به الناس ولا يجوز ابدا قفل باب الاجتهاد في تفسير القرآن.

أما بالنسبة للآية: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" فهي في حقيقتها معجزة علمية رغم أنني لست من انصار ما يسمى بالاعجاز العلمي في القرآن ذلك لان كل ما ورد في القرآن الكريم هو من الحقائق التي لا تقبل الجدل عرفها الانسان او لم يعرفها.

اقول ان الآية: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" هي حقيقة ربانية لا تقبل الجدل حتى لو بدا لنا ان العلم يخالف ذلك. لان علمنا محدود ولم يحط الانسان بكل شيء علما. وما لا نعرفه اليوم سيعرفه اهل الغد. ونظرياتنا العلمية اليوم ربما تهدمها نظريات الغد وتجعلها هباءً منثورا. لهذا فإن ربط تفسير آيات القرآن بالنظريات العلمية هو خطأ فادح ينبغي الابتعاد عنه. واذا ربطنا اي آية قرآنية بأي نظرية علمية يجب الا نقدمها للناس على ان ذلك اعجاز علمي في القرآن. لانه اذا ثبت مستقبلا خطأ تلك النظرية العلمية فإن هذا مما سيشكك الناس وسيمنح الفرصة للملحدين للطعن في كتاب الله.

ورغم كل هذا فإن الآية الكريمة: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" يحتاج حقا الى تفسير عقلي وعلمي لتصحبح مفهومها.

ان التفسير الذي يقول ان "الصلب" هو صلب الرجل وان "الترائب" هي ترائب المرأة هو تفسير أبعد ما يكون عن الصواب برأينا.

اما التفسير الذي يقول ان الصلب والترائب هي في الرجل والمرأة معا فهو التفسير الاقرب للصواب لأن الآية الكريمة لم تقل ان الصلب في الرجل والترائب في المرأة وانما جمعهما معا. وبالتأكيد ان الذين قالوا ان الصلب والترائب في الرجل دون المرأة هم يقولون هذا إجتهاداً منهم فقط مستندين في ذلك على ان كلمة يخرج مقصود به "الماء الدافق" وقالوا ان الماء الدافق لا يخرج الا من الرجل وهو المَنّي.

على ان الذين قالوا ان الصلب والترائب في الرجل وحده او في الرجل والمرأة معا، قالوا ذلك قياسا على ان "يخرج من بين الصلب والترائب" هو اشبه ب "يخرج من بين فرث ودم لبنا سائغا للشاربين" ويقولون ان الفرث والدم هنا هما فقط في المرأة وبالتالي فان الصلب والترائب يجب ان تكون ايضا في الرجل وحده او في الرجل وفي والمرأة كذلك.

أقول ربما "بين فرث ودم" يريد ان يقول بإخراج مادة جديدة من بين مادتين. أما "بين الصلب والترائب" فهو يريد ان يحدد مكانا مجهولا بين مكانين معلومين.

فالصلب هو مكانٌ في الجسد وكذلك الترائب مكانٌ في الجسد. إن تحديد مكان مجهول بين مكانين معلومين يوجب ان يكون المكانان المعلومان في جسم مشترك. إذ ليس من المعقول ان يكون المكانان في جسمين مختلفين.

فإذا أردت مثلا ان احدد مكان قطعة حلوى بين قطعتي حلوى أُخريين فلابد ان تكن قطع الحلوى الثلاثة موجودة على ذات الطاولة، اذ ليس من المعقول ان اقول ان قطعة الحلوى الاولى موجودة بين قطعتي حلوى موجودتين في طاولة اخرى. هذا القول لا يسنده منطق ولا عقل ولا علم. فليس من المعقول ان أحدد مكانا بين مكان في الرجل "الصلب" وبين مكان في المرأة "الترائب".

وبالتالي فإنه حينما يقول الله سبحانه وتعالى: "من بين الصلب والترائب" فلابد ان يكون الصلب والترائب موجودين داخل جسم واحد، سواء كان هذا الجسم هو جسم الرجل او جسم المرأة.

وبالتالي أيضا فإن القول بان "الانسان" كما في بعض التفاسير او "الماء الدافق" كما في تفاسير أخرى يخرج من بين صلب في الرجل وترائب في المرأة هو قول لا يصح لغةً ولا عقلا ولا واقعا. والصحيح هو ان "الانسان" او "الماء الدافق" يخرج من مكان في جسم الانسان - سواء كان هذا الانسان رجلا او امرأة - يقع في المنطقة بين الصلب والترائب. لان الآية الكريمة لم تحدد انهما في الرجل وحده فقد جاز ان يكون في الرجل والمرأة.

وهكذا يتم نسف ادعاءات الملحدين. وقد اثبتت الدراسات العلمية ان خصية الرجل وبويضة المرأة تبدأن في التكون الأوّلِي في الاجنّة في منطقة بين الصلب والصدر تماما كما جاءت في الآية ثم تهبطان تدريجيا الى أمكانهما المعروفة لدينا. وهذا يجعل آخر إدعاءات الملاحدة في اختلاف القرآن والعلم هباءً منثوراً ككل مزاعهم وادعاءاتهم.([[111]](#footnote-111))،([[112]](#footnote-112)) وصدق الله العظيم حين يقول: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"([[113]](#footnote-113))

واخيرا أقول لهم: إذا كان الله قد اعطاكم من العلم اكثر مما اعطى اسلافكم فكان من الاحرى ان تعيدوا تفسير القرآن حسب علمكم بدلا من الطعن فيه باقوال السلف. هذا ليس تصرفا علميا ولا يليق بمن يقدسون العقل.

وفي الختام إني أُشْهِدُ كل من يقرأ كتابي هذا بأنني أَشهَدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ونبيه أرسله بالقرآن بشيرا ونذيرا بين يدي عذاب شديد. وأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلّغ رسالة ربه وادى الامانة ونصح الناس.

"قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ \* سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ \* وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ \* وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ \* وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ \* فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"([[114]](#footnote-114))

صدق الله العظيم

**المحتويات**

[مقـدمة 2](#_Toc484859308)

["عن القرآن كلام الله" 14](#_Toc484859309)

[التناقض سمة بارزة في القرآن 39](#_Toc484859310)

[القرآن والعلم 49](#_Toc484859311)

[كل ما في القرآن هو من عند الله 60](#_Toc484859312)

[آيات لا معنى لها 65](#_Toc484859313)

[سجع القرآن وسجع الكهان 67](#_Toc484859314)

[القرآن والايمان بالغيب 68](#_Toc484859315)

[بربريات القرآن 72](#_Toc484859316)

[الله في القرآن 77](#_Toc484859317)

[صفات الله في القرآن 83](#_Toc484859318)

[الله وإبليس ... 87](#_Toc484859319)

[الله الرحمن الرحيم 91](#_Toc484859320)

[الله قريب مجيب 93](#_Toc484859321)

[الله خير الرازقين 97](#_Toc484859322)

[وما النصر الا من عند الله 100](#_Toc484859323)

[الله في القرآن يقحم نفسه في كل شيء 106](#_Toc484859324)

[وهو القاهر فوق عباده 112](#_Toc484859325)

[مع الله. على الانسان ان يلزم حده 115](#_Toc484859326)

[إله بلا فاعلية 118](#_Toc484859327)

[في الختام 121](#_Toc484859328)

1. ) ) www.eltwhed.com/vb/showthread.php [↑](#footnote-ref-1)
2. 306- السلسلة الصحيحة – الالباني )( [↑](#footnote-ref-2)
3. ) الايات 175 – 178 سورة الاعراف ( [↑](#footnote-ref-3)
4. ) الاية 11 سورة الحج ( [↑](#footnote-ref-4)
5. www.eltwhed.com/vb/showthread.php) ( [↑](#footnote-ref-5)
6. ) صحيح مسلم ( [↑](#footnote-ref-6)
7. ) الايات 99 – 100 سورة الاعراف ( [↑](#footnote-ref-7)
8. ) الاية 28 سورة فاطر ( [↑](#footnote-ref-8)
9. ) متفق عليه ( [↑](#footnote-ref-9)
10. ) الاية 7 آل عمران ( [↑](#footnote-ref-10)
11. ) الايات 151 – 153 سورة الصافات ( [↑](#footnote-ref-11)
12. ) الاية 48 سورة فصلت ( [↑](#footnote-ref-12)
13. ) سفينة الركاب تايتنك ( [↑](#footnote-ref-13)
14. ) الاية 97 سورة النساء ( [↑](#footnote-ref-14)
15. http://w.tt/2pIjM3X) ( [↑](#footnote-ref-15)
16. ) الاية 30 سورة القصص ( [↑](#footnote-ref-16)
17. ) الايات 87 – 88 سورة طه ( [↑](#footnote-ref-17)
18. ) الاية 36 سورة يونس ( [↑](#footnote-ref-18)
19. ) الاية 28 سورة النجم ( [↑](#footnote-ref-19)
20. ) الايات 45 – 46 سورة البقرة ( [↑](#footnote-ref-20)
21. ) الايات 22 – 23 سورة يونس ( [↑](#footnote-ref-21)
22. ) الايات 106 – 110 سورة النحل ( [↑](#footnote-ref-22)
23. ) الاية 22 سورة الشعراء ( [↑](#footnote-ref-23)
24. ) الايات 65 – 66 سورة النمل ( [↑](#footnote-ref-24)
25. ) الاية 13 سورة الجاثية ( [↑](#footnote-ref-25)
26. الايات 71 – 73 سورة الزمر (( [↑](#footnote-ref-26)
27. ) 71 – 72 سورة مريم ( [↑](#footnote-ref-27)
28. ) الايات 9 – 12 سورة فصلت ( [↑](#footnote-ref-28)
29. ) الاية 27 سورة الحديد ( [↑](#footnote-ref-29)
30. ) الايات 40 – 41 سورة المعارج ( [↑](#footnote-ref-30)
31. ) الاية 185 سورة البقرة ( [↑](#footnote-ref-31)
32. ) الايات 105 – 109 سورة الاسراء ( [↑](#footnote-ref-32)
33. ) الايات 78 – 79 سورة النساء ( [↑](#footnote-ref-33)
34. ) الايات 148 – 149 سورة الانعام ( [↑](#footnote-ref-34)
35. ) الاية 23 سورة الانفال ( [↑](#footnote-ref-35)
36. ) الاية 3 سورة الزمر ) [↑](#footnote-ref-36)
37. ) الاية 47 سورة البقرة ( [↑](#footnote-ref-37)
38. ) الاية 38 سورة الانعام ( [↑](#footnote-ref-38)
39. ) الاية 6 سورة الجمعة ( [↑](#footnote-ref-39)
40. ) الايات 28 – 34 سورة ق ( [↑](#footnote-ref-40)
41. ) الاية 104 سورة النحل ( [↑](#footnote-ref-41)
42. ) الاية 97 سورة الاسراء ( [↑](#footnote-ref-42)
43. ) الاية 167 سورة البقرة ( [↑](#footnote-ref-43)
44. ) الاية 24 سورة فاطر ( [↑](#footnote-ref-44)
45. ) الاية 51 سورة الفرقان ( [↑](#footnote-ref-45)
46. ) الايات 143 – 146 سورة الصافات ( [↑](#footnote-ref-46)
47. ) الاية 49 سورة القلم ( [↑](#footnote-ref-47)
48. ) الايات 26 – 36 سورة طه ( [↑](#footnote-ref-48)
49. ) الايات 34 – 35 سورة القصص ( [↑](#footnote-ref-49)
50. ) الايات 6 – 10 سورة الصافات ( [↑](#footnote-ref-50)
51. ) الايات 16 – 18 سورة الحجر ( [↑](#footnote-ref-51)
52. ) الاية 39 سورة فصلت ( [↑](#footnote-ref-52)
53. ) الاية 5 سورة الحج ( [↑](#footnote-ref-53)
54. ) الاية 36 سورة التوبة ( [↑](#footnote-ref-54)
55. ) الاية 5 سورة يونس ( [↑](#footnote-ref-55)
56. ) الآية 47 سورة الحج( [↑](#footnote-ref-56)
57. ) الاية 4 سورة المعارج ( [↑](#footnote-ref-57)
58. ) الاية 2 سورة الرعد ( [↑](#footnote-ref-58)
59. ) الاية 32 سورة الانبياء ( [↑](#footnote-ref-59)
60. ) الاية 86 سورة الكهف ) [↑](#footnote-ref-60)
61. ) الاية 34 سورة النمل ( [↑](#footnote-ref-61)
62. ) الاية 28 سورة يوسف ( [↑](#footnote-ref-62)
63. ) صحيح الجامع ( [↑](#footnote-ref-63)
64. ) صحيح البخاري ( [↑](#footnote-ref-64)
65. ) الاية 10 سورة الجمعة ( [↑](#footnote-ref-65)
66. ) صحيح الجامع - الالباني ( [↑](#footnote-ref-66)
67. ) السلسلة الصحيحة – الالباني ( [↑](#footnote-ref-67)
68. ) الاية 112 سورة النحل ( [↑](#footnote-ref-68)
69. ) الايات 15 – 17 سورة فاطر ) [↑](#footnote-ref-69)
70. ) الاية 70 سورة الاسراء ( [↑](#footnote-ref-70)
71. ) الايات 1 -2 سورة ص ( [↑](#footnote-ref-71)
72. ) الايات 1 – 2 سورة ق ( [↑](#footnote-ref-72)
73. ) الايات 1 – 2 سورة الطور ( [↑](#footnote-ref-73)
74. ) الايات 1 – 5 سورة الفجر ( [↑](#footnote-ref-74)
75. ) الترمزي ( [↑](#footnote-ref-75)
76. ) السلسلة الصحيحة الالباني ( [↑](#footnote-ref-76)
77. ) الاية 46 سورة التوبة ( [↑](#footnote-ref-77)
78. ) الاية 17 سورة الانفال ( [↑](#footnote-ref-78)
79. ) صحيح مسلم ( [↑](#footnote-ref-79)
80. ) الاية 223 البقرة ( [↑](#footnote-ref-80)
81. ) السلسلة الصحيحة الالباني ( [↑](#footnote-ref-81)
82. ) الاية 38 سورة المائدة ( [↑](#footnote-ref-82)
83. ) الاية 67 سورة الانفال ( [↑](#footnote-ref-83)
84. ) الايات 229 – 230 سورة البقرة ( [↑](#footnote-ref-84)
85. ) الاية 7 سورة الانفال ( [↑](#footnote-ref-85)
86. ) الاية 27 سورة الفتح ( [↑](#footnote-ref-86)
87. ) الايات 3 – 5 سورة المسد ) [↑](#footnote-ref-87)
88. ) صحيح البخاري ( [↑](#footnote-ref-88)
89. ) الاية 23 سورة الجاثية ( [↑](#footnote-ref-89)
90. ) الاية 27 - 28 سورة الانعام ) [↑](#footnote-ref-90)
91. ) الاية 22 سورة ابراهيم ( [↑](#footnote-ref-91)
92. ) صحيح الترمزي ( [↑](#footnote-ref-92)
93. ) صحيح البخاري ( [↑](#footnote-ref-93)
94. ) مسلم ( [↑](#footnote-ref-94)
95. ) مسلم ( [↑](#footnote-ref-95)
96. ) الايات 75 – 78 سورة التوبة ( [↑](#footnote-ref-96)
97. ) مسلم ( [↑](#footnote-ref-97)
98. ) مسلم ( [↑](#footnote-ref-98)
99. ) الاية 23 سورة الاحزاب ( [↑](#footnote-ref-99)
100. ) مسلم ( [↑](#footnote-ref-100)
101. ) الاية 15 سورة الحج ( [↑](#footnote-ref-101)
102. ) الاية 12 سورة الرعد ( [↑](#footnote-ref-102)
103. ) الاية 146 سورة الاعراف ( [↑](#footnote-ref-103)
104. ) الاية 33 سورة الرحمن ( [↑](#footnote-ref-104)
105. https://islamqa.info/ar/103514 (( [↑](#footnote-ref-105)
106. ) الاية 172 سورة الاعراف ( [↑](#footnote-ref-106)
107. ) الايات 1 -3 سورة الانسان ( [↑](#footnote-ref-107)
108. ) الايات 4 – 10 سورة البلد ( [↑](#footnote-ref-108)
109. ) الاية 41 سورة الروم ( [↑](#footnote-ref-109)
110. ) الايات 5 – 8 سورة الطارق ( [↑](#footnote-ref-110)
111. http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-3450.htm () [↑](#footnote-ref-111)
112. http://diae.net/5261 () [↑](#footnote-ref-112)
113. ) الاية 53 سورة فصلت ( [↑](#footnote-ref-113)
114. ) الايات 81 – 89 سورة الزخرف ( [↑](#footnote-ref-114)